سلسلة كتب الدعوة والخطابة

(الكتاب السابع)

المساجد بين الاتباع والابتداع

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾.

سورة الجن الآية (١٨).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

سورة النور الآية (٦٣).

المساجد بين الاتباع والابتداع.

رقم الإيداع/ ١١١٧٤/ ٢٠٢٠ بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ﷺ وقائد الغر المحجلين، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن اهتدى بهديهم، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فالمساجد ميدان هام من ميادين الدعوة الإسلامية، فهي بيوت الأتقياء، ومصانع الرجال العظماء، هي واحة المسافر، ومأوى عابر السبيل، هي ملاذ الطالبين، وروضة الصالحين، ومنارة لهداية الحائرين، وقبله للعباد والمصلين، إليها يفزع الناس في الشدة؛ ليرفع الله البلاء، وفي داخلها يتساوى الفقراء والأغنياء.

ومن فوق مآذنها يصدح الآذان، وفيها تقام الجمع والجماعات، وعلى منابرها تنهمر الخطب والعظات، التي تقضى على المنازعات، وتحل المشكلات، ومن ثم بنيت المساجد في الإسلام لتكون مشعل هداية، ومنارة علم، فتهدي الحائرين، وتنير الطريق للسالكين.

ولشرف المساجد نسبها الله ﷻ إلى نفسه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[1].

---

(١) سورة الجن الآية (١٨).

ولقد أثنى الله ﷻ على رواد المساجد، فشهد لهم بالإيمان والرجولة، والخوف منه، والحرص على مرضاته، وأنهم أهل الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

المسجد هو النواة الأولى في بناء المجتمع المسلم الأول في صدر الإسلام، وسيبقى ويظل هكذا حتى يوم القيامة، لأنه الميدان الأول للدعوة الإسلامية، وقد عناه القرآن الكريم بالمدح والثناء والتعظيم والرفعة.

قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[2].

والمسجد هو أحب البقاع إلى الله تعالى في الأرض، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: **"أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"** [3].

والمسجد له منزلة خاصة في قلب كل مسلم، حيث تهفوا إليه روحه، وتطمئن فيه نفسه، ويتعلق به قلبه، فإذا غاب عنه يشعر بوحشة، وإذا دخله شعر بالسكينة والوقار، وكيف لا وهو بيت الله ﷻ وكرمه لزواره على قدر عظمته وجلاله.

---

(١) سورة التوبة الآية (١٨).

(٢) سورة النور الآيات (٣٦-٣٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦١٧) عن أبى هريرة ﷺ.

ولأهمية المساجد في الإسلام، وفي بناء المجتمع المسلم، كان أول شيء فعله النبي ﷺ بعد الهجرة هو بناء المسجد، وكان متواضعا في مظهره وشكله، وبنائه وفرشه، وأعمدته وسقفه، يقل الصحابة من حر الصيف، وقيظ الشتاء، وهم يشعرون بأنهم في أطهر البقاع في الأرض، فبنى بداخله الرجال الذين يحملون عبء الدعوة معه ﷺ.

وكان ﷺ إذا أراد سفرا يخرج منه، وإذا عاد من السفر يبدأ به، فكان المسجد في العصر النبوي هو المنطلق لكل عمل صالح، والرئة التي يتنفس منها المسلمون، حتى يحيوا حياة طيبة كريمة.

والمسجد كان بيتا للضيافة والمقابلات الرسمية، فقد استقبل فيه النبي ﷺ الوفود القادمة من الأعراب وغيرهم؛ لتعليمهم الإسلام، والإجابة عن أسئلتهم، ويتعرفوا على حياة المسلمين بعضهم مع بعض، من خلال بقائهم بالمسجد، وضيافتهم فيه.

وفي المسجد كان يختار النبي ﷺ سفراء الإسلام، ويرسلهم إلى الملوك والأمراء، وفيه يستقبل الوفود والزائرين، وكان فيه يجمع الخراج، ويقسم الغنائم، ويهنئ المجاهدين العائدين بالنصر.

وكان مسجده ﷺ ببساطته وتواضعه يتسع لكل شيء، فكان مأوى للمسافرين، وعابري السبيل، وقاعة لمجالس العلم، وواحة للأدباء والشعراء، فكان مشعل هداية ومصباح نور، يضئ للمسلمين شئون دينهم ودنياهم.

والمسجد في عصر النبي ﷺ تميز بالروح الحية، التي تحي المجتمع كله، بما تبثه من خير وإصلاح، وهداية ونور، فلقد ساهم في بناء اللبنات الأولى التي قام عليها

المجتمع المسلم الأول، والتي انطلقت ليهدي الله على أيديها العباد، ويفتح بصلاحها البلاد، فالمسجد هو الركيزة الأولى في بناء أي مجتمع، لما يقوم به من دور فعال، في تنشيط الحياة الإيمانية في المجتمع.

والمسجد مصدر النور والعلم والمعرفة، والإيمان والوحي، والصلاح والإصلاح، وهو الميدان الذي يصبغ الفرد المسلم المتوازن في شخصيته، بين الروحية والمادية، والفردية والجماعية، لأنه مصدر توجيه وتربية وبناء.

والمسجد له أكبر دور في بناء الأمة المسلمة، حيث لا يقتصر على الجانب الديني، والتعبدي، والدعوى فقط، وإنما يتعدى دوره إلى كل مناحي الحياة.

فله دوره العلمي، والتربوي، والقضائي، والإعلامي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والعسكري، فالدور الرئيسي الذي يقوم به المسجد، هو بناء الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والأمة المسلمة، حيث يغرس الآداب، وينشر القيم، ويعلم الأخلاق، ويهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويبنى الرجال، فالمساجد مصانع الرجال، الذين يبنون حاضر الأمة، ويصنعون مستقبلها.

وهذا كله يتم من خلال مبادئ الإسلام وآدابه وأخلاقه، التي تُعلَن كل جمعة من على المنبر للعامة والخاصة، فليس لدينا في الإسلام أسرار ولا ألغاز، وإنما نعلن مبادئنا يوم الجمعة على الناس أجمعين. يقول شوقي:

وإذا خطبت فللمنابر هزة ∴ تعرو الندي وللقلوب بكاءُ.

وفي التاريخ الإسلامي نجد أشهر المساجد التي ساهمت في تخريج كبار العلماء، كان لها ولا يزال الأثر القوى في نفوس روادها، فنجد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومسجد بيت المقدس في فلسطين، ومسجد قباء في المدينة

المنورة، والجامع الأزهر المعمور في مصر- المحروسة، وكذلك مسجد عمرو بن العاص، بالفسطاط قديما، القاهرة حديثا مصر المحروسة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وغيرها من المساجد الأثرية المبثوثة في العالم الإسلامي، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

كانت هذه المساجد محاضن جيدة لتخريج الدعاة والمصلحين، لأنها قامت بأداء رسالتها على الوجه الصحيح الذي ينشده الإسلام، وما أحوجنا إلى عودة دور المسجد في مجتمعنا المعاصر؛ ليقود مسيرة الإصلاح والتغيير نحو الأفضل والأمثل.

ولما كانت المساجد بهذه الأهمية العظمى؛ كانت هذه الصفحات التي تتناول قضايا السنة والبدعة في المساجد، وما يتعلق بها من أحكام، ودور المسجد في الحياة العامة والخاصة، من أجل عودة المساجد إلى الصورة الصحيحة التي ينشدها الإسلام، فتنجح في أداء رسالتها نقية بيضاء، بعيدةً عن البدع والدخيل، الذي أفقدها دورها ووظيفتها.

وآمل لهذه الكلمات-إن شاء الله- أن تكون تذكرة لمن يخشى، تأخذ بأيدي الناس إلى الطريق الأقوم، وإلى صراط الله المستقيم. آمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❁❁❁

(١) سورة الذاريات الآية (٥٥).

(١) التعريف بالمساجد بين الاتباع والابتداع.

قبل الحديث عن المسجد وضوابطه في الإسلام، بين الاتباع والابتداع، تجدر الإشارة إلى التعريف بعنوان الموضوع وهو: المساجد، الاتباع، الابتداع.

١-**المساجد**: جمع مسجد، وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي سجد بمعنى خضع، وهو من وزن مفعل بالكسر، اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر، وهو بيت للصلاة، وفي المعجم الوسيط: (المسجد هو مصلى الجماعة، وسجد وضع جبهته على الأرض فهو ساجد) (١).

والمسجد: (يقال كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد) (٢). قال ابن فارس: (السين والجيم والدال أصل واحد مطرد، يدل على تضامن وذل) (٣).

وقال الزجاج: (كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، ومسجد بفتح الجيم محراب البيت، ومصلى الجماعات مسجد، والمساجد جمعها) (٤). وفي الحديث قال ﷺ: **"وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"** (٥).

يقول الزركشي: (لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، فقد اشتق اسم المكان منه، فقيل مسجد، ولم يقل مركع، كما خص المسجد بالمكان

---

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية ٤٣٢/١ ط/ مجمع اللغة العربية القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

(٢) المصباح المنير، للفيومي، ٢٦٦/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة سجد ١٣٣/٣.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، مادة سجد.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٣٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

المهيأ لأداء الصلوات الخمس، والكسوف والخسوف، ونحوها، حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها، فلا يعطي حكمه) (١).

والمسجد: موضع صلاة الجماعة، تتنزل فيه الرحمات من الله ﷻ والسكينة، وتحف رواده الملائكة بأجنحتها، وتغشاهم الرحمات، ويذكرهم الله في ملأ خير من الذي هم فيه، وروادها أهل الإيمان، وفي الحديث قال ﷺ: **"إذا رأيتُم الرجلَ يتعاهد المسجدَ، فاشهدوا له بالإيمانِ"**.

فإن اللهَ يقول: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢). وفي الحديث قال ﷺ: "ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِّ تعالى يتلونَ كتابَ اللهِّ ويتدارسونَه بينَهم إلَّا نزلت عليهمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمةُ وحفَّتهمُ الملائِكةُ وذَكَرَهمُ اللهُّ فيمن عندَه"(٣).

فيستفاد من ذلك أن المسجد اسم مكان للموضع الذي تقام فيه الصلوات، ويتعبد فيه، وخص موضع السجود بالذكر، لأنه أشرف شيء في الصلاة، والسجود ذل وخضوع.

وجاء ذكره في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة، بلفظ الإفراد والجمع(٤).

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد، للزركشي، صـ٢٧-٢٨.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦١٧) وقال حديث غريب حسن، عن أبي سعيد الخدري ﷺ. والآية من سورة التوبة (١٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٤٥٥) صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، صـ٣٤٥. ط/ دار الحديث القاهرة.

فالمسجد اسم لموضع الصلاة عند المسلمين فقط، بينما أماكن العبادة عند النصارى تسمى الكنائس، والصوامع أماكن خاصة بالعبادة عند رهبان النصارى، وأما عند اليهود فتسمى المعابد أو البيع.

٢-**الاتباع**: مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي تبع: بمعنى سار في أثر الشيء أو تلاه، وفي المعجم الوسيط: (تابع الشيء: تقصاه، وسار وراءه، وتطلبه، وحذي حذوه، واقتدى به) (١).

٣-**الابتداع**: مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي بدع، بمعنى أحدث واخترع، وفي المعجم والوسيط، (البدعة: إنشاء الشيء على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾)(٢).

ومما سبق يتبين أن المقصود بعنوان الموضوع هو: متابعة الصورة التي كان عليها المسجد في عصر النبي ﷺ في بنائه، ودوره، ورسالته، والحذر من المخالفات الشرعية، والبدع المستحدثة التي لحقت به، أو أضيفت إليه دون دليل شرعي، أو تحقيق مصلحة عامة، مع إحياء دور المسجد ورسالته وإمامه في العصر الحاضر؛ حتى يعيد الأمة إلى دورها الحضاري المنشود.

❁❁❁

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ١/٨٤-٨٥.

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ١/٤٤ والآية من سورة الأنعام (١٠١).

(٢) التحذير من الابتداع في الدين.

الابتداع خطر على الدين، وخطر على الأمة المسلمة، لأنه يبعد الأمة عن نقاء مصادرها الأصلية الإلهية، المنزلة من عند الله ﷻ فتفقد الأمة أخص خصائصها، وهي سلامة المصدر والمنهج، وتضيع معالم الدين، وتذهب ربانيته، ويفقد فاعليته، ويغيب التأييد الإلهي من الله ﷻ فتتلاشى الأمة، وتذهب سدى، وتكون أثرا بعد عين.

(أ) تحذير القرآن الكريم من الابتداع في الدين:

لقد حذر القرآن الكريم الأمة المسلمة من هذا المسلك، فجاءت آيات القرآن الكريم تنذر الأمة من هذا الخطر، وتحذرهم من المخالفة، حتى لا يعرضوا أنفسهم للعذاب الأليم، ومن هذه الآيات ما يأتي:-

(١) قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(١)].

ومخالفة أمر النبي ﷺ بُعد عن السنة، وترك لها، وما قامت بدعة، إلا وضاعت سنة، وقد ذم النبي ﷺ البدعة فقال: **"وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"** [(٢)].

---

(١) سورة النور الآية (٦٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

والفتنة التي يتعرض لها المخالف والمبتدع، قد تكون بالموت غير الإسلام، أو على غير هدى النبي ﷺ وأما العذاب الأليم فإن فاته في الدنيا، فلن يهرب منه في الآخرة، ما لم يتب إلى الله توبة نصوحا.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[1].

ومشاقة الرسول تكون بالتمرد على السنة بعد وضوحها وظهورها، وقيام الحجة عليه، وأما اتباعه غير سبيل المؤمنين لا يكون إلا بالمعصية، أو المخالفة الشرعية، أو الابتداع في الدين، وهذا ليس من شيم أهل الإيمان والتوحيد، لأن الله وصفهم بالطاعة المطلقة لله ولرسوله في كل أمور دينهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

وإذا ابتعد الإنسان عن هدى الله، وكله الله إلى نفسه، فيعيش في ضنك الحياة الدنيا، ويصليه الله بعذاب جهنم يوم القيامة، وليس هناك مصير أسوأ من ذلك.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآية (١١٥).

(٢) سورة النور الآية (٥١).

(٣) سورة الحشر الآية (٧).

فكل ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة من الصفات، يجب على المسلم أن يقبله، وأن يرضى به، وأن يمتثله في عبادته وسلوكه، فهو المبلغ من عند الله ﷻ فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة الناس، ولا ينهى إلا عما فيه مضارهم وهلاكهم.

والأمر النبوي الشريف يأتي منه المسلم ما يستطيع، أما النهي فيجب تركه على الإطلاق دون استثناء، وفي الحديث عنه ﷺ قال: **"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم"**(١).

والاجتناب أشد من الترك، إذ إن الاجتناب يتطلب من الإنسان أن يترك بينه وبين المنهي عنه مسافات طوال، حتى لا يمسه أو يقترب منه فيقع فيه، أما الترك فقد يكون أمامه أو قريبا منه ويتركه، فالوقوع فيه أيسر، والخطر منه أشد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾(٢).

(٤) قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٣٣٧) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) سورة المائدة الآية (٩٠).

(٣) سورة الشورى الآية (٢١).

إن التشريع حق لله وحده ﷻ لا يشاركه فيه نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو أحد من البشر، مهما علا قدره، أو ارتفع شأنه، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

فإذا رضي المسلم أن يأخذ أحكامه وتشريعاته، وعباداته وأخلاقه، من الله وحده، فليس له أن يشاركه في صفة من صفاته، لأن ذلك تجاوز عن الحد، وإقحام للنفس في غير ما خلقت له.

وإذا كانت الآية نعي من الله ﷻ على المشركين الذين جعلوا لله شركاء، فكيف بالمسلم الذي أعلن استسلامه وخضوعه ﷻ فليس من حقه أن يضيف إلى الدين ما ليس منه، أو يخترع طريقة جديدة يتعبد بها إلى الله ﷻ إنه بذلك يجعل نفسه شريكا لله وهو لا يشعر بل إنه يظن أنه يحسن صنعا، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

(٥) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[3].

والفرقة في الدين إنما تنشأ من الابتداع فيه، حيث يأتي كل مبتدع بطريقة جديدة تخالف ما كان عليها السابقون، فتتشعب الطرق وتتعدد، ويكثر الخلاف وتضيع

---

(١) سورة الأعراف الآية (٥٤).

(٢) سورة الكهف الآيتان (١٠٣-١٠٤).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥٩).

معالم الدين الصحيح، لذلك جاء التحذير في الآية الكريمة بأن النبي ﷺ براء منهم، فهم ليسوا منه وهو ليس منهم، وأي خسارة وضياع للإنسان أعظم من أن يتبرأ منه النبي ﷺ.

فليكن المسلم على حذر من الابتداع في الدين، خاصة أن لديه من السنة الصحيحة ما يغنيه عن البدع والابتداع، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[1].

وفي الحديث قال ﷺ: **"ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه"**[2].

❁❁❁

(١) سورة المائدة الآية (٩٢).

(٢) الحديث أورده الطبراني في المعجم الكبير بإسناد صحيح، والهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨. وقال ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، وهو ثقة.

(ب) تحذير السنة النبوية من الابتداع في الدين:

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحذر المسلمين من الابتداع في الدين، وذلك لتمامه وكماله، فليس هناك حاجة للزيادة أو الإضافة أو الإلحاق، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

(١) ومن الأحاديث التي جاءت في هذا الباب وتعد أصلا من أصول الإسلام، وقال بعضهم عنها أنها ثلث العلم، لأنها ميزان لظاهر العمل، فهي تبين إذا كان العمل موافقا للشرع فيقبل، أم مخالفا له فيرد ويرفض، وفي البخاري من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[2]. وفي رواية: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**[3].

ومعنى أحدث: أخترع وأنشأ، والمقصود بأمرنا هذا أي ديننا، وأما قوله فهو رد أي مردود على صاحبه، ليس له مجال للقبول عند الله ﷻ.

ويستفاد من الحديث أن كل من اخترع طريقة جديدة للعبادة، يتقرب بها إلى الله، لم يشرعها الله ﷻ ولم يسنها النبي ﷺ فهي غير مقبولة منه، ومردودة عليه، والرواية الثانية من الحديث تضيف جديدا، فهي ترد على كل من قلد غيره في بدعة، ولو لم يخترعها من عنده، فالنتيجة واحدة، كلاهما مرفوض ومردود.

---

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﵂.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) عن عائشة ﵂.

(٢) أخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: **"أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"**[١].

وحديث العرباض بن سارية ﷺ الذي وعظ النبي ﷺ فيه الصحابة، موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وكأنها موعظة مودع، وكان منها التحذير النبوي في قوله ﷺ: **"وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"**[٢].

فقد ذم النبي ﷺ الأمور المحدثة في الدين، حيث جاء الذم بعد ذكر القرآن والسنة، فيفهم منه أنه يخص محدثات الدين لا محدثات الدنيا، وفي الحديث أيضا، وصف للبدعة على إطلاقها بالضلالة، ليتضح أن كل جميع البدع مذمومة على الإطلاق، وفيه رد على من يقول بتقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة، فالبدعة طريق الضلال، والضلال نهايته إلى النار.

(٣) وفي مسند الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ قال: **"ما أحدث قوم بدعة، إلا رفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة، خير من إحداث بدعة"**[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح، عن العرباض بن سارية ﷺ.

(٣) الحديث أورده ابن حجر في فتح الباري ٢٦٧/١٣. وإسناده جيد، عن غضيف بن الحارث الثمالي ﷺ

فالبدعة ضد السنة ومقابلة لها، والبدعة من اختراع البشر، والسنة من تشريع الله ورسوله، فكل اختراع جديد في دين الله، إنما يقابله ضياع لسنة كانت موجودة بين الناس، فهما يتصارعان، وأيهما غلب، غلب على الأخر.

(٤) وإذا كانت البدعة مذمومة، ومنهي عنها، فإن صاحبها مذموم أيضا، ويضاعف عليه الوزر والإثم، والعقاب يوم القيامة، خاصة من فعلها متعمدا، وهو يعلم أنها ليست من هدي النبي ﷺ.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فعُمِل بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجرِ مَن عمل بها. ولا ينقصُ من أجورِهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً، فعُمِل بها بعدَه، كُتب عليه مثلُ وِزرِ من عمل بها، ولا ينقصُ من أوزارِهم شيءٌ"**[1].

وفي الحديث أيضا عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: **"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلاله، كان عليه من آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"**[2].

ولما كان أمر الابتداع في الدين مقطوعا بحرمته عند الصحابة الكرام وسلفنا الصالح-رضوان الله عليهم أجمعين- جاءت أقوالهم تذم البدعة، وتمدح السنة، سيرا على منهاج النبي ﷺ ومن هذه الأقوال ما يأتي:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٧٤) عن أبى هريرة ﷺ.

١- قال الصديق ﷺ في أول خطبة له بعد الخلافة: (إنما أنا متبع، ولست مبتدعا، فإن استقمت فبايعوني، وإن زغت فقوموني).

٢- قول ابن مسعودﷺ: (الاقتصاد في السنة، خير من الاجتهاد في البدعة).

٣- وقول ابن مسعودﷺ أيضا: (اتبعوا آثارنا، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم).

٤- وقال ابن عباسﷺ: (عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والبدع).

٥- وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: (كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا)[1].

فمن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة الأعلام، يتضح أن البدعة مذمومة، وخطرها عظيم، وخطبها شديد، لأنها تفسد الدين، وتحمل صاحبها الإثم والوزر في الدنيا والآخرة، إلى أن توردة المهالك.

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من البدع ما ظهر منها وما بطن.

❁❁❁

(١) هذه الآثار أوردها الإمام الدارمي في مسنده، ونقلها عنه الإمام أبو شامة الدمشقي، في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث.

(٣) أسباب الابتداع في الدين.

إن انتشار البدع في مجتمع ما دليل على غياب الفهم الصحيح للدين، الذي يعصم الناس من الوقوع في تلك البدع، فإذا غاب هذا الفهم الصحيح، وانساق الناس وراء الأهواء والشهوات، انتشرت البدع التي تفسد على الناس عقيدتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وآخرتهم.

ولا شك أن البدع لا تظهر من فراغ، وإنما يقف وراء ظهورها وانتشارها أسباب كثيرة، منها ماله علاقة بدور الشيطان في إغواء بني آدم، ومنها ماله علاقة بأعداء الإسلام، ومنها ما يتعلق بالمسلمين أنفسهم، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

(١) دور الشيطان في الابتداع في الدين:

البدع وسيلة من وسائل الشيطان في إضلال الناس وإغوائهم، لينحرف بهم عن صراط الله المستقيم، وقد أقسم الشيطان على ذلك أمام رب العالمين، وسجله الله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

فهو لا يكف ليلا أو نهارا عن الوسوسة للمسلمين، عله يجد منهم أتباعا له، فيوحي إليهم باستحداث أمور في الدين، مبالغة منهم في التعبد، ظانين بذلك أنهم يحسنون صنعا.

---

(١) سورة ص الآيتان (٨٢-٨٣).

فإذا ما استحدث الناس البدع واستحسنوها، صارت بمرور الوقت أمرا مألوفا لديهم، دون أن يرجعوا فيها إلى ضوابط الشرع، وقواعد الدين.

ولعل من دوافع الشيطان أن يلجأ إلى هذا المسلك، أنه يئس من أن يعبد أو يطاع صراحة في بلاد المسلمين، حيث لا يستجيب له أحد بالكفر أو الشرك، وإذا وقع أحد المسلمين في ذنب صغير أو كبير، سرعان ما يتخلص من إثمه بالتوبة، والرجوع إلى الله ﷻ عن قريب، فلجأ الشيطان إلى حيله وألاعيبه، فيدخل لهم من باب الطاعة، بالتقرب إلى الله، بإحداث أمور في الدين غير مشروعة، ولا يظن الإنسان أنه قد وقع في معصية، أو مخالفة للشرع حتى يتوب منها، وهذا هو الخطر الأكبر.

إن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال ﷺ: **"إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك، مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه"** (١).

فالشيطان لا يعدم وسيلة في إغواء الناس وإضلالهم، وقد حكى القرآن عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (٢).

---

(١) الحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٣/١٠. والمنذري في الترغيب والترهيب ٦١/١. إسناده حسن وله شواهد، عن ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس ﷺ.

(٢) سورة النساء الآية (١١٩).

(٢) دور أعداء الإسلام:

قال تعالى في وصف أعداء الإسلام وهم يخططون لردة المسلمين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[1]. فحينما فشلت حروبهم المستمرة، في النيل من الإسلام والمسلمين؛ اتجهوا إلى الغزو الفكري ليحققوا من خلاله ما فشلت فيه المدافع والقنابل.

فقاموا بدراسات واسعة حول الإسلام، عقيدة وشريعة، وأخلاقا وتاريخا، فأيقنوا أن سر قوة المسلمين وانتصاراتهم، يكمن في صحة دينهم، وتمسكهم به، فعملوا على إفساد الدين، من خلال تشجيع جهلاء المسلمين، بإحداث البدع وانتشارها، ليدخلوا في الدين ما ليس منه، فتختلط المفاهيم، وتلتبس الأمور، وتفسد العقائد والعبادات، فيفقد المسلمون أنوار التنزيل والاتباع، ويعيشوا في ظلام وتخبط، فيسهل على الأعداء القيام بمهمتهم في سهولة ويسر.

ولقد سجلت كتب التاريخ في القرن الرابع الهجري، أن الدولة الفاطمية كانت لها اليد الطولى في إحداث كثير من البدع، خاصة فيما يتعلق بالموالد والأضرحة، وحملوا الناس على إقناعهم بها، والمواظبة عليها.

ومعلوم أن هذه الدولة تنتسب زورا وبهتانا إلى آل البيت، فقادتها وحكامها من العبيدين، وهم يهود من المغرب، تظاهروا بالإسلام، والتشيع بالحب لآل البيت، واندسوا بين المسلمين، إلى أن وصلوا إلى حكم مصر، وقاموا بأداء دورهم، من بث

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٧).

الفتنة والفرقة، في دولة الخلافة الإسلامية إلى أقصى درجة، ولقد زالت دولتهم، لكن بقيت آثارهم وبدعهم وانحرافاتهم، يعانى منها المسلمون حتى الآن.

هذه آثارنا تدل علينا ∴ فانظروا بعدنا إلى الأثار.

(٣) الجهل والقول في الدين بغير علم:

الجهل حجاب يمنع صاحبه عن الرؤية الصحيحة، فيسير على غير هدى، ويمشى على غير طريق.

وكم من عائب قولا صحيحا ∴ وآفته من الفهم السقيم.

والقول في الدين لابد أن يكون عن علم وبصيرة، حتى لا يضل الإنسان أو يضل الناس، ولقد حرم الإسلام القول على الله بغير علم، وقرنه في التحريم بالفواحش والشرك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

والقول بغير علم كذب صراح على الله، وظلم للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2].

فالجاهل إذا أقحم نفسه في ميدان العلم، وأفتى في أمور الدين من تلقاء نفسه، دون أن يرجع إلى العلماء الثقات، ابتدع لا محالة، كمن يمشى في الصحراء دون أن

(١) سورة الأعراف الآية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٤).

تكون معه بوصلة، ليعرف بها الجهات والاتجاهات، فلا شك أنه سوف يضل الطريق، ويعود من حيث بدأ، ويقضى وقته في غير فائدة.

وماذا يضير الإنسان إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم، أو لا أدرى، ويسأل غيره. وقد سئل النبي ﷺ عن خير البقاع وشرها، فقال لا أدرى، فعن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ ﷺ أيُّ البِقاعِ خيرٌ؟ وأيُّ البِقاعِ شرٌّ؟ قالَ: **"لا أَدري حتَّى أسألَ جبريلَ عليه السلام فسألَ جبريل عليه السلام فقال لا أدري حتَّى أسألَ ميكائيلَ عليه السلام فجاءَ فقالَ: "خيرُ البقاعِ المساجد، وشرُّ البقاعِ الأسواقُ"**[1].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"**[2].

(٤) اتباع الهوى:

الهوى ميل النفس وانحرافها نحو شيء ما، دون دليل شرعي، وهو أمر مذموم، لأن النفوس جُبلت على حب الشهوات والتعلق بها، والإسلام يريد منها أن تسمو إلى التحكم في نزواتها، والتعلق بما شرعه الله ﷻ من أمور الحلال والمباح.

---

(١) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٧٤. وذكره الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٠٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وقد ذم الله ﷻ في القرآن الكريم صاحب الهوى، الذي يعميه عن الحق والحقيقة، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

إن صاحب الهوى يترك الأصل الثابت، ويتبع تقلبات هواه، فيُذعن له بالقبول والتسليم، وهذا أمر عجيب يستحق الإنكار الشديد من الله ﷻ وإضلاله له، وأن يختم على منافذ المعرفة، ومداخل النور، فلا أحد يهديه بعد الله ﷻ.

وذم الله مشركي قريش أيضا لأنهم اتبعوا أهواءهم، وبنوا أمورهم على الظن، بالرغم من أن الله بَيَّن لهم طريق الهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[2].

إن الدين يقوم على اليقين القاطع، وليس على الظن، ولا على اتباع الهوى؛ لأن الهوى يميل بالإنسان إلى رغائب النفس وشهواتها، وليس إلى المصلحة العامة للجميع، أو الصواب الذي ينشده الناس، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[3].

ومن عظمة رسالة الإسلام أن طريقها واضح لا غموض فيه، مستقيم لا اعوجاج فيه، فليس فيها أمر إلا وفيه بيان من الله ﷻ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ

(١) سورة الجاثية الآية (٢٣).
(٢) سورة النجم الآية (٢٣).
(٣) سورة الأنعام الآية (١٤٨).

شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[1]. فشريعة الله أولى بالاتباع من أهواء الذين لا يعلمون، لأن أهواءهم متقلبة ومتغيرة، وأحكام الله ثابتة، وشتان بين شريعة الله، وأهواء البشر.

فالهوى هو أساس الابتداع، حيث يتبع الإنسان ما تميل إليه نفسه، دون أن يعود إلى دليل شرعي يضبط حركته، فيجعل من نفسه مشرعا لنفسه ولغيره، ويستحسن وفق هواه، دون معرفة قواعد الاستحسان، فيوقع نفسه في المهالك، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في الحديث، عن أبى برزة عن النبي ﷺ قال: **"إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى"**[2].

من أجل ذلك وجه النبي ﷺ الأمة إلى أن تكون أهواؤها وفقا للدين والشرع، وَعَدَّ ذلك من كمال الإيمان، فقال ﷺ: **"لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يَكونَ هواهُ تبعًا لَّما جئتُ بِهِ"**[3].

(٥) التقليد للمبتدعين:

التقليد للغير دون معرفة السبب والغاية، آفة خطيرة، وخطأ جسيم، حيث يلغى الإنسان عقله، الذي هو أداة التفكير للوصول إلى الحق والحقيقة، ويتبع غيره، دون برهان صحيح، أو حجة قوية، فيقع في الخطأ والانحراف لا محالة، إن المقلد

---

(١) سورة الجاثية الآية (١٨).

(٢) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٨/١. إسناده صحيح، عن أبى برزةﷺ.

(٣) الحديث أورده الإمام ابن حجر في فتح الباري ٣٠٢/١٣. وقال حديث حسن، ورجاله ثقات، وأورده النووي في الأربعين النووية (٤١) وقال حسن صحيح عن أبى هريرة ﷺ.

حينئذ يشبه الأنعام التي يقودها صاحبها، وهي تتبعه في هدوء دون اعتراض، لأنها لا تعقل، وليس من حقها أن ترفض؛ لأنها أسيرة عند صاحبها.

ولقد عاب الله ﷻ ما عليه مشركو قريش من تقليدهم للآباء والأجداد، دون إعمال للعقل، أو تحريك للفكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[1].

والناس قديما وحديثا أحباب لما ألفوا، أعداء لما جهلوا، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

إن رفض الحق لمجرد تقليد الآباء وما كانوا عليه، حجة متهافتة، لا يقبلها عاقل، لأنها تخلو من الدليل والبرهان، والتدبر والتفكر.

إنه منطق الترف والبطر، والاستعلاء على الحق، وليس منطق العاقل الذي ينشد الحق والحقيقة والصواب، وتلك سمة من سمات المعارضين للأنبياء وأتباعهم في كل وقت وحين.

فالتقليد ينزل غير المعصوم من المجتهدين من علماء الأمة منزلة المعصوم ﷺ وهذا غلو ومجاوزة للاعتدال.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٢) سورة الزخرف الآيتان (٢٣-٢٤).

ولقد تعددت الروايات التي تنهى عن الابتداع في الدين، لتشمل المبتدع والمقلد له، أما المبتدع فقد قال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[١].

وأما المقلد، فقد جاءت الرواية الأخرى من الحديث السابق لتقول: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**[٢].

سواء كان هذا العمل من عنده أو قلد فيه غيره، وأغلب المبتدعين يقلدون غيرهم في بدعهم، دون معرفة الدليل الذي يستندون عليه، في مشروعية هذا العمل من عدمه، وحينما تناقشهم في ما هم عليه يقولون: سوف نأتي لك بفلان ليناقشك في ذلك.

(٦) التكسب من وراء البدع:

إن كل مجتمع فيه الأصيل والدخيل، والنافع والمنتفع، فهناك من ينفع الأمة بنشر السنة، ومحاربة البدعة، وهناك من ينتفع بوجود البدع وانتشارها، وقديما قيل: (النصابون بخير، ما دام هناك مغفلون).

وقد رأينا في مجتمعاتنا المعاصرة أناسا يتكسبون من وراء الموالد والأضرحة، حيث يجمعون الأموال من الناس لأنفسهم، تحت دعوى إقامة الموالد للأولياء، وما تحتاجه من وسائل الإعاشة، والإضاءة، وبعضهم لهم حصص في صناديق النذور التي بالمساجد الكبرى، وبعضهم ينتفع من وراء إقامة الخميس، والأربعين، والسنوية، والسرادقات الضخمة للعزاء، وبعضهم ينتفع من وراء إقامة الأفراح

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) عن عائشة ﵂.

الماجنة المختلطة. إن هؤلاء المنتفعين اعتقدوا أن أرزاقهم مرتبطة بوجود هذه البدع والمحرمات، ومن ثم فهم يحرصون على بقائها، ويسعون في العمل على انتشارها، ويعادون من يقف في سبيلها، وقد رأينا بعض المشركين قديما يتمسكون بالميسر والخمور ومجالسها، لما تُدِرُّ عليهم من ربح وافر وسريع، فَجَرَّم القرآن تلك المنفعة المادية العاجلة، فقال تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(١).

ونهى عن المتاجرة بالأعراض للحصول على الأموال، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(٢). فكل الأموال التي تأتى من وراء البدع، والمخالفات الشرعية، والمحرمات، إنما هي أموال سحت وحرام، ألا فلينته هؤلاء قبل فوات الأوان، وقبل الندم حين لا ينفع الندم.

(٧) مجاوزة حد الاعتدال والاتباع في العبادة:

العبادة في الشرع لها ضوابطها المفصلة، وهي مبنية على الاتباع لا مجال للعقل والرأي فيها، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾(٣). وقال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**(٤).

(١) سورة البقرة الآية (٢١٩).
(٢) سورة النور الآية (٣٣).
(٣) سورة الأعراف الآية (٣).
(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﵂.

لكننا نرى بعضا من المسلمين يبالغون في العبادات، ويتجاوزون حد الاعتدال والاتباع، فقد يصوم أحدهم العام كله مبالغة في التعبد، مخالفا هدي النبي ﷺ حيث يقول: **"أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما"**(١).

وقد يخص أحدهم أياما بالصيام تقربا إلى الله لم يخصها الشرع بالوجوب، أو الندب، أو مبنية على أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، مثل تخصيص السابع والعشرين من رجب بالصيام، على أنها ليلة الإسراء والمعراج، أو يخص أحدهم نصف شعبان بالصيام على أنه تحويل القبلة، وليس على أنه من الأيام البيض الثلاث، وقد يتوجه أحدهم إلى الرهبنة والعكوف على العبادة، تاركا الزواج والسعي على المعاش، مخالفا هدية ﷺ حيث يقول في الحديث: **"لا رهبانية في الإسلام"**(٢).

وفي قصة الثلاثة الذين أتوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ نهي عن مجاوزة حد الاعتدال؛ كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **"جاء ثلاثُ رهطٍ إلى بُيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يَسأَلونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ فلما أُخبِروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: أين نحن منَ النبيِّ ﷺ؟ قد غفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر، قال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلِّي الليلَ أبدًا، وقال آخَرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أعتزِلُ النساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فقال: أنتمُ الذين قلتُم**

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١١٥٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) الحديث أورده الإمام ابن حجر في فتح الباري ١٣/٩. حديث صحيح عن طاووس رضي الله عنه.

كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس مني" (١).

لقد حاول نفر من الصحابة الكرام أن يشددوا على أنفسهم في العبادات، أو يمنعوا عن أنفسهم بعض المباحات، أو يلزموا أنفسهم بما لم يلزمهم الشرع به، ظانين بذلك مزيدا من القربى والطاعة لله ﷻ فلما علم النبي ﷺ بذلك نهاهم عن الفعل، وردهم الى الوسطية والاعتدال، وأعلمهم أن هذا هو السنة، وأن من تجاوز السنة فليس على جادة الطريق.

وبعد...

فهذه هي أبرز الأسباب الرئيسة التي تقف وراء ظهور البدع، وانتشارها في المجتمعات المسلمة، والتي ظهرت آثارها عبر الفترات الطويلة، في حياتنا الدينية والاجتماعية، وأصبحت واقعا مشاهدا، أَلِفَهُ كثير من المسلمين، ولا يسعون إلى تغييره وإزالته-إلا من رحم الله-.

ويمكن التغلب على هذه الظاهرة، وآثارها بإزالة أسبابها، والسعي إلى نشر السنة، ومحاربة البدعة، قال ﷺ: **"إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله: وما الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس"**. وفي رواية قال: **"الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي"** (٢).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٤٥) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) الفرق بين البدعة، والمعصية، والمصلحة المرسلة.

من المهم جدا إيضاح **الفرق** بين البدعة والمعصية، أو الفرق بين البدعة والمخالفة الشرعية، خاصة أن هناك بعض الباحثين، الذين يعملون في مجال الدعوة، نشرا وتبليغا، وكتابةً وتأليفا، يخلطون بين البدعة والمعصية، فأضافوا إلى البدعة أمورا ليست منها، أو أدخلوا تحتها أمورا غريبة عنها، فالتبست الأمور، واختلطت المفاهيم.

وقبل بيان أوجه الاتفاق والاختلاف، يجدر الحديث عن تعريف البدعة عند العلماء القدامى، وشرح هذا التعريف، وكذا المعصية، ثم استنباط مواطن الاتفاق والاختلاف.

تعريف البدعة: فمن أجمع التعاريف للبدعة، ما سطره الإمام الشاطبي-رحمه الله- في كتابه الاعتصام يقول: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها، المبالغة في التعبد إلى الله ﷻ). وفي تعريف آخر له يضيف إلى ما سبق: (يقصد بالسلوك عليها، ما يقصد بالطريقة الشرعية) [١].

شرح التعريف:

طريقة في الدين: قيد في التعريف لحصر البدع في أمور الدين، وليست في أمور الدنيا من الاختراعات والاكتشافات وغيرها.

مخترعة: أي جديدة لا أصل لها في الدين، فلم يفعلها النبي ﷺ ولا الصحابة ولا السلف الصالح.

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي ١/٣٧/ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان.

تضاهي الشرعية: أي مخترع هذه البدعة يريد أن يضفي عليها الشرعية، بمضاهاتها طريقة العبادة المشروعة المأثورة، وفي الحقيقة أنها ليست كذلك.

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد: هذا توضيح للغاية من اختراع هذه البدع، وهو الانقطاع إلى العبادة، والمبالغة في ذلك.

وما يقصد بالطريقة الشرعية: هذه إضافة توضيحية، تجعل التعريف يشمل المعاملات الشرعية والعادات التي هي من الدين، وليست خارجة عن ضوابطه.

ومما سبق يتبين أن الابتداع في الدين يشمل العبادات والمعاملات، فلا يجوز لأحد أن يضيف إلى ذلك شيئا، أو يحذف من ذلك شيئا، فهذه الأمور لها ضوابطها، من حيث الكيفية والزمان والمكان والحدود، فلا يجوز التدخل فيها لكمال الدين وتمامه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾[1].

والدين مبنى على الاتباع وليس الابتداع، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[2].

وفي الحديث قال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**. وفي رواية قال ﷺ: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**[3].

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

ولقد قسم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وسيئة، وذهب بعضهم الى أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة، التي جاءت في الحكم الشرعي، وهي الوجوب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة.

وسر هذا التقسيم يرجع إلى تعريف البدعة في اللغة لا في الشرع، فالبدعة حسب التقسيم السابق، الواجبة، و المندوبة، والمباحة، لا تدخل في مسمى البدع، وإنما تدخل تحت مصدر آخر من مصادر الاجتهاد والتشريع عند العلماء، وهي المصالح المرسلة والاستحسان.

والأفضل ألا يلجأ إلى تقسيم البدعة بهذه الطريقة، لعموم الحديث الوارد في إطلاق البدعة، وهو قوله ﷺ: **"وكل بدعة ضلالة"**[1].

قد يقول قائل: قد نجد في البدع بعض المنافع، فهي ليست باطلا محضا. أقول: هذا كلام مردود لأن الباطل فيها يغلب الحق، ولو كان الخير فيها راجحا لما أهملتها الشريعة الغراء، أو اجتهادات العلماء.

وقد يقول قائل: إن البدعة تستند إلى دليل، أو شبهة دليل. أقول: إن هذا الدليل الذي يستند إليه المبتدع لقبول بدعته، غير معتمد عند العلماء، وإذا كان الدليل معتمدا، فغالبا يكون الاستدلال به في غير موضعه، وبالتالي يسقط الاستدلال بكليهما.

وأما تعريف المعصية: فهي الخروج عن الطاعة، والمخالفة لأمر الله، والامتناع عن الانقياد. فإذا كان هناك أمر صريح بوجوب الصلاة، مثل قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة) فإن تركه ومخالفته يدخل في دائرة المعصية قولا واحدا، وليس في دائرة البدع.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وإذا كان هناك أمر بالنهي عن السرقة والوعيد لمن يفعل ذلك بالعقوبة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

فإن تارك هذا النهي، إذا تعدى حدود الله، ووقع في السرقة، فتلك معصية، ولا تسمى بدعة، لأن فاعلها خالف أمرا صريحا، ولم يدع أنه يفعل هذا من الدين.

وبعد هذا التعريف السابق للبدعة وشرحها، والمعصية وشرحها، يلاحظ أن **البدعة تختلف عن المعصية، أو المخالفة الشرعية.**

فالمعصية أو المخالفة الشرعية قائمة على الهوى والشهوة لضعف الدين، ولا تفعل بقصد التقرب إلى الله ﷻ بل إن العاصي لا يدعى أن ذلك من الدين أو السنة. وأما البدعة فهي قائمة على الشبهة، أو شبهة دليل، أو تأويل خاطئ لضعف العقل والعلم.

يقول د/ يسرى عبد الخالق خضر، موضحا ما تتفق فيه المعصية مع البدعة، وأوجه الخلاف بينهما:

أولا: أوجه الاتفاق: (أن كليهما منهي عنه، ومذموم فاعله.

أن كليهما متفاوت ليس على درجة واحدة، فالمعاصي منها الكبائر والصغائر، وهكذا البدع.

ثانيا: وأما أوجه الافتراق بين البدعة والمعصية فهي: المعصية تستند في النهي عنها- غالبا- إلى دليل جزئي من القرآن الكريم، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، أما البدعة

(١) سورة المائدة الآية (٣٨).

فمستند النهي عنها-غالبا-الأدلة العامة، ومقاصد الشريعة، وعموم قول الرسول ﷺ **"كل بدعة ضلالة"**.

المعصية فيها مخالفة للمشروع، إلا إذا قصد التقرب بها؛ فتكون بدعة ومعصية في وقت واحد، أما البدعة فمن خصائصها أن فيها مضاهاة للشرع وليست منه.

المعصية فيها انتهاك للحرمات، وتعد للحدود، وفاعلها جرئ على الله، أما البدعة فصاحبها-غالبا- موقر لله ﷻ معتقد أنه على الصراط المستقيم.

البدع فيها مجاوزة لحدود الله بالتشريع، وصاحبها يعتقد أنه على الجادة، ولهذا كانت البدع أشد خطرا من المعصية)[1].

ـ ومن الْمُفَارَقَاتُ بَيْنَهُمَا:

(الأوَّلُ: أنَّ البِدْعَةَ أعْظَمُ ذَنْبًا وضَرَرًا مِنَ المَعْصِيَةِ، فِي حَيْنَ أنَّ ضَرَرَ المَعْصِيَةِ لا يَرْتَقِي إلى مَنْزِلَةِ البِدْعَةِ.

الثَّانِي: أنَّ البِدْعَةَ أعَمُّ مِنَ المَعْصِيَةِ، فَكُلُّ بِدْعَةٍ مَعْصِيَةٌ، ولَيْسَ كُلُّ مَعْصِيَةٍ بِدْعَةٌ.

الثَّالِثُ: أنَّ صَاحِبَ البِدْعَةِ يَعْمَلُ البِدْعَةَ ظَنًّا مِنْهُ أنَّهَا مِنَ الشَّرِيْعَةِ، وهَذَا بِخِلافِ صَاحِبِ المَعْصِيَة فَهُوَ يَعْمَلُهَا مَعَ عِلْمِهِ أنَّهَا مَعْصِيَةٌ لله تَعَالَى.

الرَّابِعُ: أنَّ صَاحِبَ البِدْعَةِ يَعْصِي اللهَ تَعَالَى مِنْ بَابِ الشُّبُهَاتِ، أمَّا صَاحِبُ المَعْصِيَة فَهُوَ يَعَصِي اللهَ تَعَالَى مِنْ بَابِ الشَّهَوَاتِ، والحَالَةُ هَذِهِ كَوْنَ البِدَعِ أشَدُّ ضَرَرًا وهَوَىً عَلى صَاحِبِهَا وعَلى الدِّيْنِ مِنْ صَاحِبِ المَعْصِيَةِ.

---

(١) الإلماع إلى خطر الابتداع د/ يسرى عبد الخالق خضر صـ٢٩-٣٠. بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا/ سنة ٢٠٠١م.

الخَامِسُ: أنَّ صَاحِبَ المَعْصِيَةِ أقْرَبُ إلى التَّوْبَةِ مِنْ صَاحِبِ البِدْعَةِ.

السَّادِسُ: أنَّ البِدْعَةَ فِيْهَا اسْتِدْرَاكٌ عَلى الشَّرِيْعَةِ بِوَجْهٍ أو آخَر، وهَذَا بِخِلافِ المَعْصِيَةِ فَصَاحِبُهَا يَعْلَمُ أنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ الدِّيْنِ بِشَيء.

السَّابِعُ: أنَّ البِدْعَةَ قَدْ تَخْتَلِفُ أحْكَامُهَا إذَا خَرَجَتْ مَخْرَجَ اللُّغَةِ فَقَطْ، بِخِلافِ المَعْصَيَةِ فَهِيَ مَذَمُوْمَةٌ مُطْلَقًا (لُغَةً وشَرْعًا).

الثَّامِنُ: أنَّ المَعْصِيَةَ قَدْ تُبِيْحُهَا الحَاجَةُ أو الضَّرُوْرَةُ، وهَذَا بِخِلافِ البِدْعَةِ فَلَيْسَ فِيْهَا شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ.

- **وأما المُوَافَقَاتُ بَيْنَهُمَا**: الأوَّلَ: أنَّ كِلَيهِمَا مَعْصِيَةٌ للهِ تَعَالَى؛ فَلَيْسَ فِيْهُمَا مَا هُوَ حَسَنٌ أو مَقْبُوْلٌ فِي مِيْزَانِ الشَّرِيْعَةِ.

الثَّانِي: أنَّ كِلَيْهِمَا يَنْقَسِمُ إلى قِسْمِيْنِ: (مُكَفِّرٌ، وغَيْرِ مُكَفِّرٍ).

الثَّالِث: الحُكْمُ عَلى الفِعْلِ دَوْنَ الفَاعِلِ، وذَلِكَ بانَّ البِدْعَةَ بِدْعَةٌ، والمَعْصِيَةَ مَعْصِيَةٌ دَوْنَ تَرَدُّدٍ، أمَّا صَاحِبَاهُمَا فَلا يُحْكَمُ عَلى أحَدِهِمَا بانَّهُ مُبْتَدِعٌ أو فَاسِقٌ حَتَّى تَقُوْمَ الحُجَّةُ وتَنْتَفِي المُوَانِعُ فِي حَقِّهِمَا)(١).

الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة:

هناك اختلاط عند بعض الأفراد، بين البدعة والمصلحة المرسلة، بسبب أنه يوجد بعض التشابه بينهما، فمن ذلك:

أن البدعة والمصلحة كلاهما ليس عليه دليل تخصصي من الشرع، لكن هناك بعض الخلاف بينهم، و يمكن حصره في ما يأتي:

(١) أحكام المجاهرين بالكبائر، الدكتور/ ذياب بن سعد الغامدي صـ٣٣.

المصلحة المرسلة مبنية على الاجتهاد، وفق قواعد كلية، وأحكام عامة في الدين، تدور معي مصلحة المجتمع والأمة، وحاجة الناس، والسبب تغير الأحوال والظروف والأماكن.

المصلحة المرسلة ليس لها علاقه بالأهواء، أو المصلحة الشخصية، وليست مرتبطة العقائد والعبادات.

أما البدعة فهي تشريع يضاهي الطريقة الشرعية، مقصود لذاته، فليس وسيلة لغيره، من جلب نفع، أو دفع ضر، والتشريع حق لله وحده، وليس من حق الأفراد أن يشرعوا لأنفسهم ما يتعبدون به نحو ربهم، إذ يكون ذلك غالبا مبنيا على الهوى.

المصلحة المرسلة تكون بجلب نفع، أو د فع ضر، ولم يوجد في الشرع ما يدل على ثبوتها، أو نفيها، ولذلك تسمى بالمرسلة، فلم يشهد الشارع لها بالاعتبار أو الإلغاء، وهي من الضروريات والحاجيات والتحسينات، أي فيها ضرورة لحاجة الفرد والجماعة، وهي لا ترد ولا تقصد لذاتها، وإنما هي وسيله لحفظ واجب، أو أدائه، أو جلب منفعة، أو دفع مفسدة، أو تجنبها. و تفاصيل ذلك في كتب أصول الفقه المعروفة.

وبعد...فهذه لمحة مختصرة حول البدعة والمعصية، والفرق بينهما، تعرضت لتناوله حتى تسمى الأمور بمسمياتها الحقيقية، دون خلط بين المصطلحات، أو التباس في المفاهيم، ولنعرف من أين تؤتى البدعة والمعصية، حتى يكون المسلم على حذر منهما.

❁❁❁

(٥) مكانة المسجد في الإسلام.

اعتنى الإسلام بالمسجد إلى أقصى درجة، فسماه الله ﷻ بيته، وجعله أحب البقاع إليه، فهو أطهر البقاع في الأرض، وهو المكان الوحيد الذي يتجمع فيه المسلمون بنية خالصة، يتعبدون فيه إلى الله ﷻ وحده.

وفي الحديث: **"أنَّ أحسَنَ البِقاعِ إلى اللهِ المساجدُ، وأبغَضَ البِقاعِ إلى اللهِ الأسواقُ"** (١).

قال النووي في شرح حديث: **"أحب البلاد إلى الله مساجدها"** (٢). لأنها بيوت الطاعات، وأساسها على التقوى **"وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"**. لأنها محل الغش والخداع والرياء، والأيمان الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه) (٣).

١ -فضل بناء المساجد وعمارتها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ (٤).

---

(١) الحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب ١٧٣/١. حديث حسن وله شواهد، عن عبد الله بن عمر ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٧١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٧/٥.

(٤) سورة التوبة الآية (١٨).

فالعمارة دليل على الإيمان، فالله نسبها إلى نفسه، فهذه بيوت الله في أرضه، وجعل عمارها هم الرجال الذين يخافون الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير: (لما ضرب الله ﷻ (مثل) قلب المؤمن، وما فيه من الهدى العلم، بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل، ذكر محلها وهي المساجد، التي هي أحب البقاع إلى الله ﷻ من الأرض، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحَّد، فقال: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ أي: أمر الله ﷻ برفعها، أي تطهيرها من الدنس واللغو، والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها..)[2].

وقال الطبري: (المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع) [3]. فالرفع يكون بالبناء والارتفاع والتعظيم، بالإضافة إلى طهارتها ونظافتها من الدنس والقاذورات ولغو الكلام، وما إلى ذلك، مما لا يجوز في بيوت الله، وفي الحديث قال ﷺ: **"من توضَّأَ في بيتِهِ ثمَّ أتى المسجدَ فَهوَ زائرُ اللهِ، وحقٌّ على المزورِ أن يُكرمَ الزَّائرَ"** [4].

---

(١) سورة النور الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير في سورة النور الآية (٣٦).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٨٨/١٩.

(٤) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٧ إسناده حسن، عن سلمان رضي الله عنه.

كما رغب الإسلام في عمارة المساجد بكثرة الذهاب إليها للصلاة، أو لطلب العلم، أو قضاء مصالح المسلمين، وأن ذلك طريقا إلى الجنة، وفي الحديث قال ﷺ: **"من غدا إلى المسجدِ أو راحَ، أعدَّ اللهُ لهُ في الجنةِ نُزُلًا، كلما غدا أو راحَ"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"مَن بنى لله مسجِدًا يُذكَرُ فيه اسمُ الله، بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ"** (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: **"من بَنى للهِ مسجدًا كمِفحَصِ قَطاةٍ أو أصغَر، بنى اللهُ لَهُ بيتًا في الجنَّةِ"** (٣).

ذكر ابن عبد البر في التمهيد، والبيهقي في شعب الإيمان، عن الإمام الأوزاعي قال: (كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون لهم بإحسان، لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله) (٤).

٢-من خصوصية النبي ﷺ والأمة المحمدية أن الأرض كلها مسجد:

فقد جعل الله ﷻ لخاتم النبيين ﷺ الأرض كلها مسجدا، وجعل ترابها طهورا لمن صلى فيه، على خلاف أصحاب الرسالات السابقة، فكانت الصلاة عندهم لا تصح إلا في المعابد والكنائس، وفي الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"أُعطيتُ خمسًا، لم يُعطَهنَّ أحدٌ قَبلي: نُصِرتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطَهورًا، فأيُّما رجلٍ**

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (١٦٠٩) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٣) الحديث أورده المنذري ١٥٥/١ إسناده صحيح أو حسن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٤) التمهيد لابن عبد البر ٢٨٢/٢١، وشعب الإيمان للبيهقي ٧٩/٣.

من أُمَّتي أدرَكَتْه الصلاةُ فلْيُصلِّ، وأُحِلَّتْ لي المغانمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قَبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِه خاصةً، وبُعِثتُ إلى الناسِ عامةً" (١).

قال ابن حجر: (إن الأصل في الأرض الطهارة، وصحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبني لذلك) (٢). فعند العجز عن الصلاة في المسجد للفريضة، يصليها في مصلاه، أو في بيته، أو في سوقه، أو أي مكان أدركته الصلاة فيه.

وفي الحديث عن أبي ذرٍّ قال: قلتُ يا رسولَ الله ﷺ: **"أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّلُ؟ قال: المسجدُ الحرامُ، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: المسجدُ الأقصى، قلتُ: كم بينهما؟ قال أربعون سنةً، وأينما أدركَتْك الصلاةُ فصَلِّ فهو مسجدٌ، وفي حديث أبي كاملٍ: ثم حيثما أدركَتْك الصلاةُ فصَلِّه فإنه مسجدٌ"** (٣).

٣-الوعيد الشديد لمن منع المساجد من القيام بدورها:

لقد توعد الله ﷻ بالوعيد الشديد، لكل من قام بتعطيل المساجد من أداء دورها، من العبادة فيها، وتعلم الناس العلم الشرعي، فقام بإغلاقها، أو حال بين الناس والانتفاع بها حسيا ومعنويا، أو طرد الناس من الصلاة فيها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾** ﴾(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٣٥) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣٧٢/١.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ.

(٤) سورة البقرة الآية (١١٤).

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله-: (وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية، والنصارى حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة الساعين في خرابها...فجازاهم الله بأن منعهم دخولها شرعا وقدرا، إلا خائفين ذليلين، فكما أخافوا عباد الله أخافهم الله) (١).

٤-أفضل المساجد على الإطلاق:

المساجد الثلاث: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد بيت المقدس، وهي أفضل المساجد لأقدمية البناء، ولشرف من تنسب إليه، ولورود النصوص بتفضيلها على غيرها، وخصوصيتها بشد الرحال إليها.

وفي الحديث قال ﷺ: **"لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ: المسجدِ الحَرامِ، ومسجدِ الرسولِ ﷺ ومسجدِ الأقصى"** (٢).

فالمسجد الحرام: أول مسجد بني على الأرض، قيل: بنته الملائكة، ورفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، يطوف به الناس ليلا ونهارا، فإذا توقف البشر- طافت الملائكة، والصلاة فيه مضاعفة إلى مائة ألف صلاة.

وفي الحديث قال ﷺ: **"صلاةٌ في مسجدِي أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ إلا المسجدَ الحرامَ، وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ من مائةِ ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ"** (٣).

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي ط/ مؤسسة الرسالة بيروت الثالثة سنة ١٤١٧هـ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٨٩) عن أبي هريرةﷺ.

(٣) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير (٥١٠٦). حديث صحيح عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وأما المسجد النبوي: فالذي اختار موضعه هو الله ﷻ وبناه الصحابة الكرام بمشاركة النبي ﷺ فكان يحمل معهم الطوب، وهم يرفعون جدرانه، وكانوا يرتجزون بقولهم المشهور: يقول ابنِ إسحاقٍ: (ونزل رسولُ الله ﷺ على أبي أيوبَ حتى بنى مسجدَه ومساكنَه وعمل فيهِ رسولُ الله ﷺ ليُرَغِّبَ المسلمينَ في العملِ فيهِ فعمل فيهِ المهاجرون والأنصارُ ودأَبوا فيهِ، فقال قائلٌ من المسلمين:

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ ∴ لذاك منَّا العملُ المضلِّلُ.

وارتجزَ المسلمون وهم يبنونَه يقولون:

لا عيشَ إلا عيشُ الآخرةِ ∴ اللهم ارحمِ الأنصارَ والمهاجرةَ.

فيقول رسولُ الله ﷺ:

لا عيشَ إلا عيشُ الآخرةِ ∴ اللهم ارحمِ المهاجرينَ والأنصار.

قال فيدخلُ عمارُ بنُ ياسرٍ وقد أثقلوهُ باللَّبِنِ، فقال يا رسولَ الله قتلوني يحملون عليَّ ما لا يَحملون. قالت أم سلمةَ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ ينفُضُ وَفْرَتَه بيدِه، وكان رجلًا جعدًا، وهو يقول **ويحَ ابنِ سميةَ، ليسوا بالذين يقتلونَكَ، إنما يقتلُكَ الفئةُ الباغيةُ"** (١).

وكان المسجد النبوي الشريف -ولا يزال حتى الآن- مقصدا لطلاب العلم من كل مكان في العالم، ففيه طلاب من القارات الست، يدرسون العلوم الشرعية المختلفة في مهبط الوحي، داخل المسجد النبوي الشريف، وعلى يد كبار العلماء من المتخصصين، ثم يعودون إلى بلادهم لنشر الدعوة، وتعليم الناس العلم الشرعي.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢١٥ عن محمد بن إسحاق رحمه الله.

وتحصيل العلم الشرعي في المساجد، تجعل المسلم يشعر بالرهبة والرغبة الجادة، على أهمية العلم وتحصيله، وارتباطه بنفع المسلمين، ومرضاة الله ﷻ.

ورغب النبي ﷺ في الصلاة فيه ومدارسة العلم فقال: **"من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك؛ فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياضِ الجنةِ، ومِنبري على حوضِي"** (٢).

وتتميز هذه المساجد بعدة خصائص انفردت بها عن سائر المساجد الأخرى، ومن ذلك أن الله ﷻ هو الذي أمر ببنائها، واختار مكانها، وشارك الأنبياءُ في رفع بنائها وتجديدها، واختصها الله دون غيرها من المساجد بشد الرحال اليها، ومضاعفة الأجر والثواب للعبادة فيها.

ومسجد بيت المقدس: قيل إن أول من بناه يعقوب عليه السلام وأن داود وسليمان قاما بتجديده، كما جدد إبراهيم عليه السلام بيت الله الحرام، ورغب النبي ﷺ في زيارته، والصلاة فيه، والإهداء إليه.

وفي الحديث عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قالتْ: يا رسولَ اللهِ أَفْتِنَا في بيتِ المقدسِ؟ **قال أرضُ المحشرِ، وأرضُ المنشرِ، قال: "ائْتُوهُ فصلُّوا فيه،**

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٢٢٧) حديث صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٨٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

فإنَّ صلاةً فيه كأَلْفِ صلاةٍ قلْنَا يا رسولَ الله فمَنْ لم يستطَعْ أن يَتَحَمَّلَ إليه؟ **قال مَنْ لم يستطِعْ أنْ يأتِيَهُ فلْيُهْدِ إليه زَيْتًا يُسْرِجُ فيه، فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى إليه زيتًا كان كَمَنْ أَتَاهُ"**(١).

وأما مسجد قباء: فهو أول مسجد أسس بعد النبوة، وكان ﷺ يحمل الحجر مع أصحابه حتى أسس مسجد قباء(٢).

وعن الحكم بن عتيبة قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها، فقال عمار بن ياسر: ما لرسول الله ﷺ بدَّ من أن نجعل له مكانا إذا استيقظ من قائلته استظل فيه، وصلى فيه، فجمع عمار حجارة، فسوى مسجد قباء، فهو أول مسجد بني وعمار بناه) (٣).

ومن الأحاديث التي وردت في فضل مسجد قباء: **"أن النبي ﷺ كان يزور قباء، أو يأتي قباء راكبا وماشيا، وفي راوية فيصلي فيه ركعتين"** (٤).

وفي رواية: **"كل سبت راكبا وماشيا، وكان عبد الله يفعله"** (٥).

وعنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّه شهِد جِنازةً بالأَوساطِ في دارِ سعدِ بنِ عُبادةَ فأقبَل ماشيًا إلى بني عمرِو بنِ عوفٍ بفِناءِ بني الحارثِ بنِ الخَزْرجِ فقيل له: أينَ تؤُمُّ يا أبا عبدِ الرَّحمنِ؟ قال:

---

(١) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩ رجاله ثقات عن ميمونة بنت الحارث ﵂.

(٢) روض الأنف للسهيلي ٣٣٢/٢. السيرة النبوية لابن كثير ٢٩٣/٢.

(٣) الحديث أورده الحاكم في المستدرك (٥٧٠٥) عن الحكم بن عتيبة ﵁.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٣٩٩) عن عبد الله بن عمر ﵄.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٩٣) عن عبد الله بن عمر ﵄.

أُؤُمُّ هذا المسجِدَ في بني عمرِو بنِ عَوفٍ فإنِّي سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **"مَن صلَّى فيه كان كعَدْلِ عُمرة"** (١).

وعن سهل بن جنيف: **(من خرج حتى يأتي هذا المسجد -مسجد قباء -فصلى فيه فإن له كعدل عمرة"** (٢).

ويستفاد من تلك الأحاديث استحباب زيارة مسجد قباء، والصلاة فيه فرضا أو نفلا، وإتيانه راكبا وماشيا، وهذا يدل على عظمة المسجد وأهميته، وقيمة الصلاة فيه من الأجر والثواب، لاسيما أنه فعل النبي ﷺ غير أنه لا يجوز شد الرحال إليه، لأنه ليس من المساجد الثلاث السابقة.

٥-من أشهر المساجد في الوطن العربي:

فنجد منها الجامع الأزهر المعمور في مصر المحروسة، وكذلك مسجد عمرو بن العاص، بالفسطاط قديما، القاهرة حديثا مصر المحروسة، وهو أول مسجد بني في أفريقيا، والجامع الأموي بدمشق من العصر الأموي، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وغيرها من المساجد الكثيرة المبثوثة في العالم الإسلامي.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (١٦٢٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٦٩٨) حيث صحيح وعن سهل بن جنيف رضي الله عنه.

(٦) ضوابط تراعى عند بناء المساجد.

المساجد بيوت الأتقياء، ومصانع الرجال الأوفياء، منها يخرج النور الذي يضئ الحياة، ومن فوق مآذنها يرتفع الآذان مدويا بكلمة التوحيد، وفيها يتأخى المسلمون على غير أرحام بينهم، وقد مدح الله عمارها وزوارها.

فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

ولقد كان مسجده ﷺ مسجدا متواضعا، جدرانه من الحجارة والطوب اللبن، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من الجريد، وفرشه من التراب والرمال والحصى، لم يكن مزركشا ولا مزخرفا ولا مزينا، يمتاز بحسن جوهره، وسمو رسالته، يخرج عظماء الرجال الذين تربو في بيوت الله ﷻ.

يقول عبد الله بن عمر ﷺ: (إن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج) [2].

---

(١) سورة النور الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٤٦) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ عند تجديد المسجِد النبوي لمن يقوم بالبناء: (أَكِنَّ الناس من المطر، وإياك أن تُحمِّر أو تُصفِّر؛ فتَفتِن الناس) (١).

وهناك عدة ضوابط ينبغي أن تراعى عند بناء المساجد منها:

١ - إخلاص النية لله ﷻ:

بأن يكون القصد من البناء ابتغاء مرضاة الله ﷻ لا رياءً ولا سمعةً، ولا جاها وافتخارا، ولا مباهاةً، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: **"من بنى مسجدا لله، بنى الله له في الجنة مثله"** وفي رواية: **"بنى الله له بيتا في الجنة"**(٣).

ورغب الإسلام في بناء المسجد، وأعلى ثواب القائمين بذلك، حيث إن الجزاء من جنس العمل، بل يزيد، وفي الحديث: عن عثمان بن عفان قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "من بنى مسجدا قال بكير: حسبت أنه قال يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة"(٤).

وأما تسمية المساجد بأسماء الأشخاص والعائلات فقال الإمام الزركشي: (كره النخعي وغيره من السلف، أن يقال مسجد بنى فلان؛ لأن المساجد بيوت الله، والمشهور الجواز، وقد ترجم له البخاري وأورد فيه حديث ابن عمر أنه ﷺ سابق

---

(١) الأثر أورده الإمام البخاري معلقا مجزوما به، انظر دفاع عن الحديث للألباني صـ٤٣.
(٢) سورة الجن الآية (١٨).
(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٣٣) عن عثمان بن عفان ﷺ.
(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٥٠) عن عثمان بن عفان ﷺ.

بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق، وليست الإضافة هنا للملك، وإنما هي للتمييز، ومثل ذلك لا يمنع) (١).

وأي مسجد يبنى من أجل الشهرة والسمعة لا خير فيه، ولا في من قام عليه، مثل مسجد الضرار، الذي بناه المنافقون على غير نية خالصة، فأرسل النبي ﷺ رجلين من الصحابة ليهدموه ويحرقوه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾ (٢).

٢- أن تكون أرض المسجد غير مغتصبة:

أو تم الاستيلاء عليها بطرق غير مشروعة، من أكل أموال الناس بالباطل، أو دخل فيها مال حرام، قال الإمام النووي في شرح المهذب: (الصلاة في الأرض المغصوبة حرام بالإجماع، صحيحة عندنا، وعند الجمهور من الفقهاء وأصحاب الأصول)(٣).

وكذلك أن لا تكون أرض المسجد محل نزاع وخلاف في ملكيتها، ولو كانت الأرض ملكا للدولة، ينبغي الاستئذان من المسئولين عنها، قبل الشروع في البناء عليها.

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام الزركشي صـ٣٨٥. تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغي ط/ دولة الإمارات العربية المتحدة القاهرة ١٣٩٧هـ. وانظر الحديث في صحيح البخاري (٢٨٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٧).

(٣) شرح المهذب للإمام النووي ٣/١٦٣-١٦٤.

والمسجد بناء موقوف للصلاة والعبادة، وهو ملك للمسلمين جمعيا، حتى ولو بناه شخص على نفقته الكاملة، وسطح المسجد له حكم المسجد، ومن بنى سكنا لنفسه وأسرته وخصص غرفة للصلاة فلا تأخذ حكم الوقف ولا المسجد إلا إذا نص على ذلك. وأما من بنى بيتا وجعل الدور الأرضي منه مسجدا عاما للصلاة، فالوقف فيه مبني على نيته، إما أن يصرح، أو يكتب ورقة بذلك.

٣-التحري الدقيق في تحديد القبلة:

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[١].

والقبلة تعنى أن يستقبل المصلي بوجهه عند الصلاة، الكعبة المشرفة-بيت الله الحرام- أو جهتها، وفي الحديث قال ﷺ: **"ما بين المشرق والمغرب قبلة"** [٢].

وهذا لأهل المدينة، وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"فإذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر"** [٣].

فالتوجه نحو القبلة من شروط صحة الصلاة، فمن لم يتوجه شطر المسجد الحرام، فصلاته غير صحيحة، وباطلة. والوسائل الحديثة التي ظهرت مثل البوصلة تيسر ذلك أكثر، فلابد من الأخذ بها لتحديد اتجاه القبلة تحديدا دقيقا، وهو أمر في غاية الدقة والأهمية.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٤٢) حديث منكر، عن أبى هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٢٤١) عن أبى هريرة ﷺ.

٤-التمييز في البناء:

بحيث يتميز لكل من يراه بشخصيته الإسلامية المستقلة، فيختلف عن كنائس النصارى، وبيع اليهود، ومعابد المجوس.

وينبغي أن يراعى عند بناء المساجد اختيار الموقع المناسب، الذي يحقق المصلحة العامة لأكبر عدد من المسلمين، كأن يكون البناء في منطقة عامرة بالسكان، أو في مكان قريب من السوق، أو المواصلات، أو الأماكن العامة، بحيث لا يجد الناس مشقة في الوصول إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة والجمعة.

وينبغي أيضا أن يكون المكان المحيط بالمسجد نظيفا، نظافة مادية ومعنوية، فلا يبنى المسجد في أماكن تجمع القمامة، أو أماكن الشبه، أو المخلة بالآداب، أو المنافية للأخلاق.

وكذا ينبغي أن يراعى الأسس الصحية العامة في البناء، من حيث اتجاه الشمس، والريح، والتهوية، وأن يقلل من عدد الأعمدة والسواري الداخلية، حيث إن الصلاة بينها مكروهة، كما جاء في الحديث: "كنا ننهى أن نصف بين السواري على عهد رسول الله ﷺ ونطرد عنها طردا" (١).

وأما تشييد المساجد، فإذا كان يقصد به الاستفادة بما وصل إليه التطور العمراني الحديث في البناء، بأن يكون بناء المسجد بناء قويا ومعمرا ومرتفعا، فهذا أمر مقبول، حيث إنه تعظيم لبيت الله ﷻ.

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٨٢٨) حديث صحيح، عن قرة بن إياس المزني ﷺ.

وإن قصد بالتشييد الزخرفة والزركشة والزينة، التي تشغل المصلين عن العبادة، فهذا أمر غير مقبول، فليس المسجد معرضا فنيا للوحات التذكارية، التي يؤمها الناس للسياحة والمشاهدة.

كما أن العمارة الإسلامية في البناء لها شخصيتها المستقلة، من حيث الشكل، والمتانة، والنقوش الخارجية للمسجد، وهناك المساجد المستطيلة، والمربعة، والدائرية، وكلها ترمز إلى التطور العمراني، والابتكار والتجديد في بناء المساجد عبر العصور الإسلامية المختلفة، بالرغم من أن ذلك لم يكن على عهد الصحابة والتابعين.

ويعرف المسجد أيضا بمئذنته الطويلة، أو بقبته الدائرية، التي يعلوها الهلال، كرمز وشعار للمسجد والإسلام، وقد صممت المآذن لتكون مكانا مرتفعا، يرفع من فوقها الآذان، ولما ظهرت الكهرباء، وضع مكبر الصوت فوقها، ويؤذن من داخل المسجد، أو من خارجه، بينما ينطلق الصوت من مكبر الصوت فوق المئذنة، لينتشر في أرجاء المدينة.

٥-المرافق:

يفضل عند بناء المساجد أن يهيأ المرافق الخاصة بها، مثل مستلزمات الطهارة، من الحمامات، والوضوء، وتجميرها بالبخور والطيب، قال الزركشي-: (يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد، والتوضئة منها) (١).

وأن توفر لها مستلزمات الإضاءة، مثل المصابيح، ومستلزمات الفرش والنظافة، بأن تفرش بالسجاد أو الحصير أو الموكيت.

يقول الزركشي: (يستحب استحبابا متأكدا كنس المسجد وتنظيفه) (٢).

وفي الحديث: **"عرضت علىَّ أجور أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد"** (٣). وعن عائشة ﵂ قالت: **"أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب"** (٤).

وأن يهيئ لها مستلزمات الإمامة والخطابة والتعليم، ومستلزمات الآذان مثل مكبرات الصوت، والمنبر، وحجرة للإمام، ومكتبة للمصاحف والكتب، ولا بأس بالملاحق التي تساعد على أداء المهمة الدعوية، والتعليمية، والاجتماعية، بجوار المسجد.

❁❁❁

(١) إعلام الساجد صـ٣٨٣.

(٢) إعلام الساجد صـ٣٣٥.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٦١) حديث صحيح، عن أنس بن مالك ﵁.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٥٩٤) حديث صحيح، عن عائشة ﵂.

(٧) من المخالفات الشرعية التي لحقت بالمساجد.

١ - إغلاق المساجد في غير أوقات صلاة الجماعة الأولى:

فالهدف من بناء المساجد إقامة الصلاة، التي هي عمود الإسلام، والناس يتفاوتون في أعمالهم، فمن لم يدرك الجماعة الأولى وتوجه إلى المسجد، وقد وجد بابه مغلقا يعود من حيث أتى، كاسفا باله، خائب الرجاء، فمن أمر بإغلاقها فقد عمل على تخريبها، وسعى إلى الصد عن سبيل الله بطريقة غير مباشرة.

وقد توعد الله في القرآن الكريم كل من عمل على منع المساجد من إقامة دورها في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

إن كل مسجد به عدد من العمال، يسمح لهم بالتناوب في فتح المسجد، والجلوس بداخله، للمحافظة على أثاثه، وفرشه، ونظافته، فمن يغلق المسجد بحجة المحافظة على ما بداخله، فليس له عذر في ذلك.

إن فتح المسجد نصف ساعة لكل صلاة أمر يعطل دور المسجد في الحياة الإسلامية، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك وفي الحديث أنه ﷺ قال: **"يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد، لا يعمرونها إلا قليلا أو قال: يعمرونها قليلا"** [2].

---

(١) سورة البقرة الآية (١١٤).

(٢) الحديث أورده الإمام ابن خزيمة في صحيحه (١٣٢١) عن أنس بن مالك ﷺ.

قال الزركشي: (لا بأس بإغلاق المسجد في غير وقت الصلاة، صيانة وحفظا لما فيه، خلافا لأبى حنيفة فإنه منع من غلقها بحال) [1].

أقول: وإغلاقها يكون عند عدم وجود من يقوم عليها من العمال، ويخاف على ما فيها من السرقة والضياع، وهذا لا يكون في وقت النهار، وأرى أن تغلق ليلا، وتبقى مفتوحة طوال النهار.

٢-تزيين المساجد وزركشتها:

لا شك أن الاهتمام بالإنسان الصالح وإعداده والارتقاء به، أهم من الاعتناء بالزخرفة والتزيين، حيث إن زينة المؤمن تكون بحسن صلته بالله، وارتباطه بصلاة الجماعة في المسجد، وزينة المسجد تكون بعمارته، ورواده، وأداء دوره على أحسن ما يكون، وليس الزينة بالزخرفة التي تخرج المسجد عن حد الاعتدال، وتوقع الناس في الإسراف والتبذير.

والوظيفة الأساسية للمسجد أنه مكان لإقامة الشعائر، وليس معرضا تعرض فيه صور الزينة والزخرفة، التي تشغل المصلى عن الخشوع والعبادة.

وأما ما نرى في بعض المساجد الآن، من الزخرفة للجدران، والسقف، والكتابة عليهما، وتزيين المسجد بماء الذهب والفضة، وتعليق القناديل الذهبية، فهذا لون من الترف والإسراف، وإخراج المساجد عن وظيفته الحقيقية. والله تعالى يقول:

---

(١) إعلام الساجد صـ ٣٤٠.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

وفي الحديث أنه ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"** [2].

أي ينشغل الناس بالشكل، والصورة الظاهرة، ولا يلتفتون إلى الجوهر، والرسالة العظيمة التي يقوم بها المسجد في المجتمع.

وفي الحديث عن ابن عباس أنه ﷺ قال: **"ما أمرت بتشييد المساجد"** قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى) [3].

وروي أن ابن مسعود مَرَّ بمسجد مُزخرَف، فقال: (لَعَن الله مَن زَخرفه، أو قال: لعن الله من فعل هذا، المساكين أحْوج من الأساطين) [4].

وقال الإمام الزركشي: (في تحلية المساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها – وجهان أصحهما التحريم – فإنه لم ينقل عن السلف)[5].

ففي مدينة الألف مئذنة –القاهرة– مساجد تفتح أبوابها للزائرين من السياح، لمشاهدة مظاهر الجمال والزينة، في حين لا يقام فيها مجلس علم واحد طوال الأسبوع.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣١).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٤٩) حديث صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٤٨) حديث صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) إعلام الساجد صـ٣٣٦.

(٥) إعلام الساجد صـ ٣٣٨.

فالغرض من دخول المسجد تفريغ القلب من زينة الدنيا ومغرياتها، واستشعار ذل العبودية لله ﷻ والزخرفة والنقش يترتب عليهما صرف قلوب المصلين عن الخشوع والتدبر، وشغلهم بمظاهر الدنيا، في حين أن الأجر والثواب على قدر الخشوع والتفكر، فأجر المصلى من صلاته ما عقل منها.

فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: **"إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها"** (١).

وقد رَوى البخاري عن أنس قال: كان قِرَام لعائشة، سَتَرَتْ به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: **"أَميطي عنا قِرامَك هذا؛ فإنه لا تزال تصاويره تَعرِضُ في صلاتي"** (٢).

وعن عائشة أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: **"اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وأتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي"**.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: قال النبي ﷺ: **"كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة، فأخاف أن تفتنني"** (٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٧٩٦) حديث حسن، عن عمار بن ياسر ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٩٥٩) عن أنس بن مالك ﷺ. والقرام: ستر رقيق من صوف ذو ألوان.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٧٣) عن عائشة ﷺ. (وائتوني بأنبجانية) قال في النهاية: المحفوظ بكسر الباء، ويروى بفتحها يقال: كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة، وهو كساء يتخذ من الصوف، وله خمل، ولا علم له.

ويضاف إلى صور الزركشة والزينة كتابة بعض آيات القرآن الكريم، أو أسماء الله الحسنى على جدران المسجد، مما هو مشغلة عن الهدف الأسمى للصلاة.

ويلحق بذلك الساعات ذات الأجراس المنتظمة، والتي تشبه النواقيس، وكذا ترك التليفونات المحمولة (الجوال) مفتوحة لاستقبال المكالمات أثناء الصلاة.

٣-اتخاذ المحاريب:

المحراب: هو المكان الذي يخصص للإمام في صدر المسجد للصلاة فيه، ولم يكن في مسجده ﷺ محراب، ولا في عهد الراشدين، ولم يرد فيه سنة عن النبي ﷺ وقد (كره بعض السلف اتخاذ المحاريب في المساجد)[١].

إن تجويف المحراب وتزيينه، والكتابة فوقه بعض الآيات القرآنية، يلفت أنظار المصلين، ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة، فتركه هو الأولى.

يقول الإمام الزركشي: (ويكره أن يكتب في قبلة المسجد آية من القرآن، أو شيء منه)[٢].

ونقل الإمام الزركشي عن شرح الجامع الصغير للحنفية: (لا بأس أن يكون مقام الإمام في المسجد، وسجوده في الطاق، ويكره أن يقوم في الطاق، لأنه يشبه اختلاف المكانين، ألا ترى أنه يكره الانفراد، يقول الزركشي: والمشهور الجواز بلا كراهة، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير) [٣].

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد صـ ٢٦٤.

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد صـ٣٦٤.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد صـ٣٦٤.

٤-علو المنابر التي تقطع الصفوف:

من الأمور المستجدة التي دخلت على المساجد، علو المنابر التي تقطع الصفوف، ويختفي الخطيب فوقها، فلا يراه الناس، بالإضافة إلى الإسراف والبذخ والزخرفة والزركشة في صناعتها، فتكون مشغلة للمصلين عن الخشوع.

يقول أنس بن مالك ﷺ: "كان الرسول ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: ابن لي منبرا، أرد أن يسمعهم فبنوا له عتبتين -أي درجتين غير المقعدة، التي كان يجلس عليها- فتحول من الخشبة إلى المنبر، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله، فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى إليها، فاحتضنها فسكنت"(١).

يقول الشيخ محمود خطاب السبكي: (يسن اتخاذ منبر للخطبة؛ لأنه أبلغ في إسماع الناس، ومشاهدة الخطيب، قال باقوم الرومي: "صنعت لرسول الله ﷺ منبرا من طرفاء، له ثلاث درجات، المقعدة ودرجتان" (٢).

ولم يزل المنبر ثلاث درجات، حتى زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله، وهذه بدعة محدثة)(٣).

---

(١) الحديث أورده ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٧) والبيهقي في دلائل النبوة ٥٥٩/٢ عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أورده ابن حجر في الإصابة ١٣٦/١حديث موصول ضعيف، عن باقوم، مولى سعيد بن العاص- رضي الله عنهما-.

(٣) الدين الخالص للشيخ/ محمود خطاب السبكي ٣١٣/٩. ط/ الثالثة سنة١٤٠١-١٩٨٠م.

قال الإمام الزركشي: (يكره اتخاذ المنبر الكبير، الذي يضيق على المصلين، إذا لم يكن المسجد متسع الخطى)[١].

ومن المخالفات أيضا أن توضع أعلام أو ستائر على جانبي المنبر، أو على بابه، مما يؤدى إلى منع الناس من رؤية الخطيب، ومشاهدته أثناء الخطبة.

وقد انقرضت كثير من هذه المخالفات الشرعية، مع تقدم وعي الناس بالسنة النبوية الشريفة، وحرصهم على الالتزام بها ما تيسر إلى ذلك سبيلا.

❁❁❁

(١) إعلام الساجد صـ ٣٧٤.

(٨) المستحب في المساجد.

المساجد بيوت الله ﷻ يعمرها المؤمنون الصادقون بالعبادة الصحيحة، والصلاة الخاشعة، وعمارتها طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، وطريق الهداية والرشاد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

هناك عدة آداب إسلامية سامية ورفيعة، وردت في السنة النبوية المطهرة، يستحب للمسلم أن يحرص عليها، وأن يلتزم بها، اقتداء بهديه ﷺ ورغبة فيما عند الله ﷻ من الثواب الجزيل، والأجر العظيم، ومن هذه الآداب المستحبة ما يأتي:

١- **الدعاء عند التوجه إليها إذا خرج من بيته**، فيقول بسم الله توكلت على الله: "اللهم اجعلْ في قلبي نورًا، و في سمعي نورًا، و عن يميني نورًا، و عن يساري نورًا، و فوقي نورًا، و تحتي نورًا، و أمامي نورًا، و خلفي نورًا، و أعظِمْ لي نورًا اللهم اجعلْ لي نورًا في قلبي، و اجعلْ لي نورًا في سمعي، و اجعلْ لي نورًا في بصري، و اجعلْ لي نورًا عن يميني، و نورًا عن شمالي، و اجعلْ لي نورًا من بين يديَّ، و نورًا من خلفي، وزِدْني نورًا، و زِدْني نورًا، و زِدْني نورًا"[2].

٢-**الدخول بالقدم اليمنى مع الدعاء المأثور عنه ﷺ: "بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك"**.

---

(١) سورة التوبة الآية (١٨).

(٢) صحيح الأدب المفرد (٥٣٦) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وعند الخروج يقدم القدم اليسرى ويقول: **"بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم إني أسألك من فضلك"**.

فعن أنس ﷺ قال: **"من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك"**(٢).

ويستحب الاستعاذة للخارج من المسجد، وفي الحديث قال ﷺ: **"إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم"**(٣).

٣-**أن ينوى الاعتكاف بالمسجد كلما دخله**، قال الزركشي: (يستحب لمن دخل المسجد وجلس فيه أن ينوى الاعتكاف، سواء كثر جلوسه أم قل، قال النووي في البيان، وهذا الأدب ينبغي أن يعتني به وبشأن ذكره، ويعرفه الصغار والعوام، فإنه مما يغفل عنه) (٤).

٤-**يستحب لمن دخل المسجد وكان متوضئا أن يصلى ركعتين**، وفي البخاري عنه ﷺ أنه قال: **"إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس"**(٥).

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٤٢/٢ حديث حسن، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧١٣) عن أبى أسيد الساعدي ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢) إسناده جيد على شرط مسلم، عن أبى هريرة ﷺ.

(٤) إعلام الساجد صـ٣٤٩.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٤٤) عن أبى قتادة الأنصاري، الحارث بن ربعي ﷺ.

فإن لم يكن متوضئا ثم توضأ داخل المسجد، فيستحب له أن يصلى ركعتين أيضا بعد الوضوء.

٥-**يستحب كثرة الخطى إلى المساجد**، لعمارتها بالمكث فيها، وانتظار الصلاة، وقد رغب النبي ﷺ لمن حرص على ذلك بمحو الخطايا، ورفع الدرجات، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: **"ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"**(١).

وفيه أيضا: **"من غدا إلى المسجد أو راح؛ أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح"**(٢).

وفي مسند الإمام أحمد قال ﷺ: **"جليس المسجد على ثلاثة خصال، أخ مستفاد، أو كلمة محكمة، أو رحمة منتظرة"**(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: **"أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ –قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ فِي الْمَنَامِ–فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ.**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥١) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٦٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب ١٧٦/١ إسناده حسن، عن أبى هريرة ﷺ.

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فِي الْكَفَّارَاتِ. وَالْكَفَّارَاتُ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" (١).

وكتب سَلْمَانَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: يَا أَخِي لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **"الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ ﷻ لِمَنْ كَانَ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ الرَّوْحَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ"** (٢).

وفي رواية عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: **"الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ إِلَى الْجَنَّةِ"** (٣).

وعمارة المساجد يأخذ صورا كثيرة، منها عمارتها بالرفع والبناء والتعمير، وعمارتها بالصلاة، والدعاء، والذكر، والعبادة، ومجالس العلم.

ومن صور عمارة المساجد، المشي إلى المسجد في الظلم، فهو نور لصاحبه يوم القيامة، فأخرج الترمذي عَنْ بُرَيْدَةَ الأسلمي ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٢٣٥) حديث صحيح، عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) الحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٥. حديث حسن لغيره، عن سلمان الفارسي ﷺ.

(٣) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٥٥. إسناده صحيح، عن أبى ذر ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٢٣) وقال غريب، عن بريدة بن الخصيب الأسلمي ﷺ.

والله يفرح بعبده المعتاد على المسجد، حيث يعلن النبي ﷺ عن شدة فرح الله بعبده، حين يعتاد المساجد، للصلاة وذكر الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ، إِلاَّ تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ"** (١).

وصاحب القلب المعلق بالمسجد في ظل عرش الله، فهذه صورة رائعة يرسمها النبي ﷺ لأولئك المترددين على المساجد، الحريصين على أداء الصلوات فيها في جماعة، الذين لا يفارقون المسجد إلا على أمل العودة إليه، ولا يغيبون عنه إلا على شوق العودة إليه، فيقول ﷺ في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ"** منهم: **"وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ"** (٢).

والمساجد هي رياض الجنة، فمن أراد أن يدخل الجنة وهو في هذه الدنيا، فليأتِ بيوت الله على الدوام، وليحرص على أداء الصلاة والذكر فيها، فقد أخرج الترمذي وحسّنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: الْمَسَاجِدُ، قُلْتُ: وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ"** (٣).

٦-**المواظبة على حضور صلاة الجماعة**، فصلاة الجماعة في المسجد محل خلاف بين العلماء، بين الوجوب، وبين كونها سنة مؤكدة، وقد فضلها النبي ﷺ على صلاة

---

(١) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٧٥. وإسناده صحيح، عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨٠٦) عن أبى هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٥٠٩) وقال حسن غريب، عن أبى هريرة ﷺ.

المنفرد بسبع وعشرين درجة، وذلك لأهميتها، وبيان أثرها على الفرد والجماعة المسلمة، قال ﷺ: **"صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة"** (١).

وليست الأفضلية لصلاة الجماعة بعدد الدرجات فقط، بل إن خطوات الإنسان تسجل له عند الله، في رفع الدرجات، ومحو الخطايا، كما أن جلوسه في المسجد صلاة له، والملائكة تدعو له بالمغفرة والرحمة.

وفي الحديث قال ﷺ: **"صَلاَةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ، لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي -يَعْنِي عَلَيْهِ- الْمَلاَئِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ"** (٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (من سره أن يلقى الله غدا مسلما، فليحافظ على هذه الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة،

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٥) عن عبد الله بن عمر ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٧٧) عن أبى هريرة ﷺ.

ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) (١).

وكان بعض الصحابة يريدون أن يبيعوا بيوتهم ليقتربوا من المسجد، والنبي ﷺ نهاهم عن البيع، وبيَّن لهم عظيم الأجر في كثرة المشي إلى المسجد، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا فَنَقْتَرِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **"إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خُطْوَةٍ دَرَجَةً"** (٢).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: **"إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ يَا بَنِي سَلِمَةَ: دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ"** (٣).

وصلاة الجماعة لها فضائل كثيرة، منها أنها تؤدى إلى التعارف والترابط والتعاون، بين أبناء القرية أو المدينة أو المنطقة التي يعيشون فيها، فيكونون كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص، وأنها تكسب المسلم الخشوع والتدبر، حيث تحضرها الملائكة، كما أن المسجد هو أفضل مكان يشعر فيه المسلم بالقرب من الله تعالى، خاصة في وقت الصلاة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٦٤) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٦٥) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

ومن فضائل صلاة الجماعة، أنها تمنح المسلم براءتين، واحدة في الدنيا، واحدة في الآخرة، وفي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من صلى لله أربعين يوما في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق"** (١).

وهي سبب لتعلق القلب بالمسجد، حيث إن صاحبه ملازم لصلاة الجماعة، شديد المحبة لها، وهي رمز لوحدة المسلمين، وجمع قلوبهم على الطاعة، وفيها إظهار عظيم لشعيرة من شعائر الإسلام، وتعظيم لحقها، والقيام بها، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢).

وكذا يستحب الصلاة في الصف الأول، لما ورد في ذك من الثواب والأجر، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يأتي ناحية الصف، ويسوي بين صدور القوم ومناكبهم، ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول" (٣).

وفي الحديث أيضا عن أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا عليه، ولو**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤١) حديث حسن، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) سورة الحج الآية (٣٢).

(٣) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٣١/١. حديث صحيح عن البراء بن عازب ﷺ.

يعلمون ما في التهجير، لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوا" (١).

٧-**يستحب حضور مجالس العلم والوعظ**، في المسجد، التي تذكر الناس بالله، وترقق قلوبهم، وتعلمهم أمور دينهم، يقول الزركشي: (يستحب عقد حلق العلم في المسجد، وذكر المواعظ والرقائق ونحوها) (٢).

وفي الحديث عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من دخل مسجدنا هذا ليُعِّلم خيرا، أو ليتعلم، كان كالمجاهد في سبيل الله"**(٣).

وأما عقد حلق العلم قبل صلاة الجمعة مباشرة، فقد كرهها الإمام الغزالي-رحمه الله-فقال (ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة) (٤).

وفي الحديث أن النبي ﷺ **"نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة"**(٥).

يعنى في المسجد، وذلك لانشغال الناس في استعدادهم لصلاة الجمعة(٦).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥١٦) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) إعلام الساجد صـ٣٣٨.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٢٢٧) حديث صحيح عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ١٤٢/٢.

(٥) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٧٤١) حديث حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-.

(٦) إعلام الساجد صـ ٣٢٩.

٨-**يفضل مباشرة عقود الزواج في المساجد**، وتجمع الناس فيها للشهود عليها، لأنها أطهر البقاع في الأرض وأشرفها، وفي سنن الترمذي قال ﷺ: **"أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف"**(١).

فحينما تخرج الأسر من بيت الله ﷻ فإنها تتلمس البركة والهداية، بخلاف ما تخرج من الأندية المختلطة، وأماكن اللهو والفجور.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(٢).

ودليل مشروعية عقد النكاح في المسجد، من حيث الأصل: حديث الواهبة نفسها للنبي ﷺ والذي رواه البخاري ومسلم، حيث ثبت أنه زوجها لأحد أصحابه في المسجد، ولا يُحفظ أنه كرر ذلك في عقدٍ غيره.

فالعقد في المسجد جائز ومشروع ومستحب، شريطة ألا يترتب على عقده بالمسجد أمر محظور، كالإخلال بحرمة المسجد، أو التشويش على المصلين، أو حضور جنب أو حائض، أو إخلال بالآداب الاجتماعية كاختلاط الجنسين أو غير ذلك.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٠٨٩) وقال حديث غريب حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٩٦٦) عن عائشة ﵂.

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٩).

(٩) المباح في المساجد.

هناك عدة أمور يختلف الناس حولها، هل هي من المباحات أم من المكروهات؟ فأحببت أن أشير إليها حتى ترتاح النفوس، وتطمئن القلوب، ويزول عنها الحرج، ومن هذه المباحات ما يأتي:

١ -**النوم في المسجد في غير وقت الصلاة**، أو المبيت فيه إذا دعت الحاجة، لاسيما إذا كان النائم غريبا، أو عابر سبيل، هذا مع مراعاة نظافة المسجد، وعدم التشويش على المصلين، أو الجالسين.

ولقد كان أهل الصفة من الصحابة المهاجرين –على كثرتهم– ينامون في مسجده ﷺ ويبيتون فيه، وذلك لعدم وجود بيوت تأويهم، أو منازل يسكنونها، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

وعنون البخاري في صحيحه بابين (باب نوم الرجال في المسجد) وذكر نوم أصحاب الصفة، وابن عمر، وعلى بن أبى طالب-رضي الله عنهم أجمعين-والآخر (باب نوم المرأة في المسجد) وذلك لحديث يضم قصة جارية كان لها خباء مستقل في المسجد تبيت فيه، من وبر أو نحوه.

يقول الزركشي: (يجوز الاستلقاء في المسجد ومد الرجل، والاتكاء، للأحاديث الصحيحة المشهورة) [١].

(١) إعلام الساجد صـ ٣٣٠.

وفي البخاري من طريق عباد بن تميم عن عمه: (أنه رأي رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى)[١].

وعن طخفة بن قيس الغفاري ﷺ قال: كان أبي من أصحابِ الصُّفَّةِ قال: فبينا أنا مُضطجِعٌ من السَّحَرِ على بطني إذا جاء رجلٌ يُحرِّكُني برجلِه، فقال: **"إنَّ هذه ضَجعةٌ يُبغِضُها اللهُ قال: فنظرتُ فإذا هو رسولُ اللهِ"** [٢]. فالنبي ﷺ أنكر عليه طريقة نومه في الاضطجاع، ولم ينكر عليه أصل النوم، وهو مباح.

٢-**يباح المكث في المسجد للمحدث حدثا أصغر** -أي إنه على غير وضوء- فيجوز له أن يجلس في المسجد فترة طويلة أو قصيرة، وذلك لكونه أمرا مباحا، وكما سبق أن أصحاب الصفة من الصحابة كانوا يجلسون وينامون في مسجده ﷺ وهم على غير وضوء، يقول الشيخ محمود خطاب السبكي: (والجمهور على أنه يباح للمحدث حدثا أصغر دخول المسجد والجلوس فيه) [٣].

أما إذا كان الجالس في المسجد على وضوء فهذا مستحب، وقد وردت الأحاديث الصحيحة، التي تبين أن الملائكة تستغفر للجالس في المسجد في مصلاه، ما دام على وضوء، ولم يحدث يقول ﷺ: **"إن الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول الملائكة اللهم اغفر له، اللهم ارحمه"** [٤].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٧٥) عن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ.

(٢) الحديث أورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٨٠) حديث حسن لغيره، عن طخفة بن قيس الغفاري ﷺ.

(٣) الدين الخالص ٣/٢٦٠.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٥٩) عن أبي هريرة ﷺ.

قال المهلب: (معناه أن الحدث في المسجد خطيئة، يُحرم بها المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته.

وقال ابن بطال: من كان كثير الذنوب، وأراد أن يحطها عنه بغير تعب، فليغتنم ملازمة مكان مُصلاه بعد الصلاة، ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1].

وكتب سَلْمَانَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: يَا أَخِي لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ ﷻ لِمَنْ كَانَ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ الرَّوْحَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ"** [2].

وأما المحدث حدثا أكبر، فيحرم عليه المكث في المسجد، لكن يجوز له أن يمر بداخله فقط، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾[3].

وأما السكران الذي غيب عقله بسبب تعاطيه ما يسكر، فيحرم عليه الجلوس في المسجد، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[4]. فهو لا يقرب الصلاة، ولا مواضعها، وهي المساجد.

٣- **يباح الأكل والشرب في المسجد**، مع المحافظة على هيبته ونظافته ورائحته، فلا تترك فيه أثار الطعام أو بقاياه، لتتجمع حولها الحشرات.

---

(١) إعلام الساجد صـ ٣٠٢-٣٠٣. والآية من سورة الأنبياء (٢٨).

(٢) الحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥/٢. حديث حسن لغيره، عن سلمان الفارسي ﷺ.

(٣) سورة النساء الآية (٤٣).

(٤) سورة النساء الآية (٤٣).

فعن عبد الله بن الحارث قال: "كنَّا نأكُلُ عَلَى عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ في المسجِدِ الخبزَ واللَّحْمَ" (١).

ولا يؤكل فيه ثوم أو بصل، لبقاء رائحتها التي تؤذى المصلين، وفي صحيح مسلم: **"من أكل من هذه، البقلة، الثوم، وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"** (٢).

يقول الشيخ محمود خطاب السبكي: (إن تناول البصل والثوم والفجل والكراث ونحوها، من كل ما له رائحة كريهة، حرام في المسجد، على من أراد دخوله) (٣).

أقول: والحرمة هنا من باب كراهة التنزيه، ويلحق بالثوم والبصل، الدخان فلا يشرب في داخله، أو على أبوابه كما يفعل بعض الجهلاء، فرائحته أكثر إيذاءً من الثوم والبصل، خاصة في موضع السجود، ناهيك عن حرمته التي اتفق عليها جمهور العلماء.

٤- **يباح للمرأة أداؤها الصلاة في المسجد**، وذلك لما جاء في البخاري: **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"** (٤). وفي سنن أبى داود أن النبي ﷺ: **"لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن"** (٥).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٢٦٨٥) حديث صحيح عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٦٤) عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-.

(٣) الدين الخالص ٢٥٧/٣.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٩٠٠) عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-.

(٥) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٦٧) إسناده صحيح، عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-.

وفيه أيضا قوله ﷺ: **"لأن تصلى المرأة في مخدعها، أعظم لأجرها أن تصلى في بيتها"**[١].

قال الإمام النووي-رحمه الله-في شرح مسلم: (النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه، إذا كانت ذات زوج أو سيد، ووجدت الشروط المذكورة، فإن كانت خلية، حرم المنع إذا وجدت الشروط، ومراده بالشروط ألا تكون متزينة، ولا ذات خلاخل، ولا ثياب فاخرة، ولا مختلط بالرجال، وقال في التحقيق: والنساء في بيوتهن أستر وأفضل)[٢].

٥- **يباح دخول المسجد لغير المسلم**، باستثناء المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣].

ولقد كان ﷺ يستقبل الوفود في مسجده، وأحيانا فيهم غير المسلمين مثل (نصارى نجران) حينما دعاهم ﷺ إلى المباهلة في القصة المشهورة، كما ربط الصحابة ثمامة بن أثال قبل إسلامه في سارية من سواري المسجد، وأمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، ثم مكث غير بعيد، وعاد متوضئا، لينطق بالشهادتين، ويدخل في الإسلام عن قناعة وإيمان.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٦٧٥) إسناده صحيح، عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) إعلام الساجد صـ ٣٦٠.

(٣) سورة التوبة الآية (٢٨).

قال الزركشي: (يمكن الكافر من دخول المسجد واللبث فيه، وإن كان جنبا، فإن الكفار كانوا يدخلون مسجده ﷺ ولا شك أن فيهم الجنب،... والفرق بينه وبين المسلم، أن المسلم يعتقد تحريمه) (١).

٦- **يباح في المسجد إنشاد الشعر الذي فيه مدح للإسلام**، وحث على مكارم الأخلاق، والذي يرغب في العمل الصالح، وطلب مرضاة الله والدار الآخرة، أما شعر المجون، والغزل الفاحش والهجاء، الذي يورث الضغينة والأحقاد بين المسلمين، فيحرم إنشاده في المسجد.

روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: (مرَّ عمر في المسجد، وحسان ينشد- فلحظ إليه-فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة وقال: أنشدُك بالله، أسمعت النبي ﷺ يقول أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس؟ قال: نعم)(٢).

وقد وضع الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان: (باب الشعر في المسجد هل ينشد أو لا؟) (٣). وعن جابر بن سمرة قال: "جالَستُ النَّبيَّ ﷺ أَكثرَ من مائةِ مرَّةٍ، فَكانَ أصحابُهُ يتناشَدونَ الشِّعرَ، ويتذاكرونَ أشياءَ من أمرِ الجاهليَّةِ، وَهوَ ساكِتٌ، فربَّما يتبسَّمُ معَهُم" (٤).

---

(١) إعلام الساجد صـ٣١٨.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٢١٢) عن سعيد بن المسيب ﷺ.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري باب رقم (٦٨).

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٨٥٠) وقال حديث صحيح، عن جابر بن سمرةﷺ.

وفي السيرة لابن هشام، قال: (أتى وفد بني تميم-بنو تميم قبيلة عملاقة من قبائل العرب الشهيرة-إلى المدينة لتُسْلِم، وقد أتى وفدها في العام العاشر أو التاسع ليُسْلِم، فقدم الوفد وكانوا ثمانية، اختيروا اختيارا في مجالات التخصص، فأخذوا معهم حليم العرب قيس بن عاصم، والأديب الخطيب عطاء بن حاجب بن زرارة، وعمرو بن الأهتم المدره، والشاعر الزِّبرقان بن بدر، إلى مجموعة أخرى.

وقدموا إلى الرسول ﷺ وقالوا- وهم الذين نادوا من وراء الحجرات-: يا محمد! نحن لا نسلم حتى تبارينا في مسجدك، ونفاخرك وتفاخرنا، ويسمى هذا- كما ذكره ابن قتيبة-: المناثرة، عند العرب: أن يأتي وفد لوفد، فيذكرون مآثرهم وتاريخهم في الجاهلية، فمن غلب أسند له القياد، وسُلِّمَت له الحكومة، فقالوا: نباريك، قال: بماذا؟ قالوا: معنا خطيب وشاعر، ونريد خطيبك وشاعرك.

والرسول ﷺ لم يتأخر، فعنده الإمكانيات، وعنده القدرات، وفي المسجد دعا ابن رواحة، فقال ابن رواحة: أنا شاعر المُهْلَة، أي: لا أستطيع في البداهة أن أنْظِم قصيدة، فدعا حسانا وأتى وفد بني تميم، واجتمع الناس، وارتقى الزِّبرقان بن بدر على المنبر ليقول: **نحن الكرام فلا حي يعادلنا ∴ منا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَع**.

وقام حسان ودعا له الرسول ﷺ أن يؤيَّد بروح القُدُس الذي هو جبريل عليه السلام فقام في الحال، وألقى قصيدته الفذة البارعة النادرة في تاريخ الأدب، حيث قال:

إن الذوائب مِن فِهْرٍ وإخوانهم ∴ قد بينوا سنة للناس تُتَّبَعُ.

يرضي بها كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا.

إلى آخر القصيدة الطويلة التي تقارب الخمسين بيتا، والرسول ﷺ يستمع إليه والصحابة، ويريدون أن تعتلي قصيدة حسان ذاك المشرك الذي يريد الإسلام، فلما انتهى قال بنو تميم: غلب شاعرُك شاعرَنا، وقام خطيبهم وألقى خطبة، فقالﷺ: **"أين ثابت بن قيس بن شماس؟ فقام ثابت، فألقى خطبة، فغلب خطيبهم، فأسلموا، وأعلنوا إسلامهم"** (١).

٧-**يباح عقد مجالس القضاء في المسجد،** وكذا فض المنازعات، والإصلاح بين المتخاصمين، فأطهر البقاع في الأرض هي أنسب الأماكن التي يخرج منها إقامة العدل، والإصلاح بين الناس. وهل يحكم بالعدل بين الناس في مكان أطهر من بيوت الله ﷻ قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾(٢).

٨- **يباح للمريض أن يعالج في المسجد،** قالت عائشة رضي الله عنها: "أُصيبَ سعدٌ يومَ الخَندَقِ، رماه رجلٌ من قريشٍ، يُقالُ له حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ، رماه في الأكحَلِ، فضرَب النبيُّ ﷺ خَيمَةً في المسجدِ ليعودَه من قريبٍ، فلما رجَع رسولُ الله ﷺ من الخَندَقِ وضَع السلاحَ واغتسَلَ، فأتاه جبريلُ عليه السلام وهو يَنفُضُ رأسَه من الغُبارِ، فقال: وضَعْتَ السلاحَ، واللهِ ما وضَعْتُه، اخرُجْ إليهِم. قال النبيُّ ﷺ: "فأينَ". فأشار إلى

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام/ تحقيق مصطفى عبد الواحد/ القصة بالتفصيل ٤/٧٩-٨٦/ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان سنة ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣م.

(٢) سورة النساء الآية (٥٨).

بني قُرَيظَةَ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فنزَلوا على حُكمِهِ، فرَدَّ الحُكمَ إلى سعدٍ، قال: فإني أحكُمُ فيهم: أن تُقْتَلَ المُقاتِلَةُ، وأن تُسبَى النساءُ والذُّرِّيَّةُ، وأن تُقسَمَ أموالُهم.

قال هشامٌ: فأخبَرَني أبي، عن عائشةَ: أن سعدًا قال: اللهم إنك تَعلَمُ أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أُجاهِدَهم فيك، من قومٍ كذَّبوا رسولَك ﷺ وأخرَجوه، اللهم فإني أظنُّ أنك قد وضَعْتَ الحربَ بيننا وبينهم، فإن كان بَقيَ من حربِ قريشٍ شيء فأبْقِني له، حتى أجاهِدَهم فيك، وإنْ كنتَ وضعتَ الحربَ فافْجُرْها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لَبَّتِهِ، فلم يَرُعْهُمْ، وفي المسجدِ خيمةٌ من بني غِفارٍ، إلا الدَّمُ يسيلُ إليهِم، فقالوا: يا أهلَ الخيمةِ، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلِكم؟ فإذا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فماتَ رضي الله عنه"[1].

٩-**يباح عقد مجالس الاستشارات العسكرية في المسجد،** فمن المسجد كانت تنطلق كتائب المجاهدين الفاتحين، حاملين راية الإسلام والتوحيد.

وكانت بداية التخطيط والترتيب للغزوات بدر وأحد والأحزاب من المسجد، وكذا البداية لفتح مكة من المسجد: (فقد خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال:

يا رب إني ناشد محمدا ∴ حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مددا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ∴ ونقضوا ميثاقك المؤكدا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢١٢٢) عن عائشة رضي الله عنها.

هـــم بيتونـــا بـــالوتير هجـــدا ∴ وقتلونـــا ركعـــا وســـجدا

وزعموا أن لست أدعـو أحـدا ∴ وهـــم أذل وأقـــل عـــددا.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو، فكان ذلـك مـا هـاج فتح مكة)[1].

فكان الترتيب والتخطيط لفتح مكة، يـتم بـين النبـي ﷺ وأصـحابه مـن داخـل مسجده ﷺ.

❁❁❁

(١) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٩٢/٧ عن المسور بن مخرمة ﷺ. وانظر السيرة النبوية لابن هشام/ تحقيق مصطفى عبد الواحد/ ٥٢٦/٣-٥٢٧.

(١٠) المكروه في المساجد.

يحرص الإسلام بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته السامية، على صيانة المساجد من كل ما يخرجها عن دورها الأصيل ورسالتها العظيمة، حتى تبقى المساجد بيوت الله ﷻ خالصة لوجهه الكريم، لها قدسيتها وهيبتها واحترامها، ورفعة المساجد إنما تكون بصيانتها عن كل ما يسئ إليها، من تصرفات تخرجها عن أدب الإسلام وتوجيهاته.

ولقد توعد الله ﷻ كل من ظلم نفسه، بأن سعى في خراب المساجد، ومنع الناس من ذكر الله فيها، وعبادته ﷻ بالخزي في الدنيا، والعذاب الشديد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

وقبل الدخول في المكروهات التي يقع فيها بعض الناس في المسجد تجدر الإشارة إلى تعريف المكروه، ومعرفة مدلول هذا اللفظ، وهذا مما يعين على فهم المراد، ومعرفة مقصود المتكلم من اللفظ.

---

(١) سورة البقرة الآية (١١٤).

المكروه اسم مفعول من كره بمعنى أبغض، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

والمكروه: ضد المحبوب، وهو لفظ ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير: (أي وبغض إليكم الكفر والفسوق، وهى من الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي)[3].

وتعريف المكروه عند المتقدمين يختلف عن المتأخرين، وكلمة المكروه تعبير قرآني يقصد به عند السلف المحرم، ولغة القرآن الكريم تؤيد ذلك، ما لم يكن هناك قرينه تصرفه من الحرام، إلى الذي هو أقل حرمة منه، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[4].

والآية قد أشارت إلى أمور محرمة، ومنها الشرك وغيره من الكبائر، وكلها من المحرمات، وليس من المكروهات.

---

(١) سورة التوبة الآية (٤٦).
(٢) سورة الحجرات الآية (٧).
(٣) تفسير ابن كثير ١٤٨/١٣.
(٤) سورة الإسراء الآية (٣٨).

وما رواه ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ: **"أنه كره أن يجمع بين العمة، والخالة، وبين الخالتين، والعمتين"** (١).

ومعلوم أن الجمع بينهما محرم باتفاق العلماء: (وعند الأئمة الأربعة: أن إطلاق لفظ الكراهة يقصد به التحريم، وكذلك الإمام البخاري، وقد حكى تفاصيل ذلك الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين) (٢).

والذي حمل السلف الصالح على استخدام لفظ المكروه على المحرم، إنما التورع من إطلاق لفظ الحرام، والخوف من الله ﷻ أن يقعوا تحت طائلة النهي الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٣). وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٤).

ومن تعريفاته عند المعاصرين، الكراهة: (هو ما يثاب تاركه امتثالا، ولا يعاقب فاعله) وقيل: (وهو ما نهى عنه الشارع نهيا غير جازم) (٥).

واصطلحوا أيضا على أن الكراهة بمعنى: (تخصيص ما ليس بمحرم، وتركه أرجح من فعله).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد ٢٦٧/٣. إسناده صحيح، عن عبد الله عباس ﷺ.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ٤١/١-٤٢.

(٣) سورة النحل الآية (١٦).

(٤) سورة الإسراء الآية (٣٦).

(٥) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض بن نامي السلمي صـ٥١.

وهو عندهم ما يسمى بالكراهة التنزيهية، وهو: (ما طلب الشارع تركه بطريقة غير جازمة).

وعند الأحناف كما هو مشهور تقسيم الكراهة إلى قسمين كراهة تنزيه، وكراهة تحريم، فالأول تركه أرجح من فعله دون إلزام، والثاني تركه أرجح من فعله بطريقة ملزمة.

والمعنى الذي تدور عليه الدراسة هنا، المكروه كراهة تنزيه، الذي طلب الشارع تركه بطريقة غير جازمة.

وهذه بعض الأمور التي يكره فعلها أو مباشرتها داخل المسجد، وقد ورد النهي الصريح عنها، ومن ذلك ما يأتي:

١-**رفع الصوت في المسجد لغير أمر شرعي**، والأمر الشرعي المعتبر إنما هو خطبة الجمعة، أو قراءة الإمام في صلاة الجماعة، أو مجلس علم، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أما ما سوى ذلك فيدخل في دائرة الكراهة.

لقد اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: **"ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة، أو قال في الصلاة"**[1].

ويدخل في ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع بين الآذان والإقامة، أو قراءة بعض آيات من سورة الكهف، بصوت مرتفع يوم الجمعة، والمصلون مشغولون

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٣٣٢) إسناده صحيح، عن أبى سعيد الخدري ﷺ.

بصلاة النافلة، فلا يجوز رفع الصوت في المسجد، ولو بالقرآن أو الذكر الذي يشوش على المصلين.

ومن أركان الصلاة الخشوع، وهذا لا يتحقق بوجود من يقرأ القرآن بصوت مرتفع، أثناء صلاة الآخرين، وعليه فلا يجوز رفع الصوت بقراءة القرآن في المسجد في هذه الحالة.

والمسلمون أمة يعرفون النظام، ويحترمون فرائض الوقت، ويقيمون فقه الأولويات، ففي مثل هذه الحالة، وهذا الوقت، تقدم الأولوية للصلاة، على قراءة القرآن بصوت مرتفع، فإذ انتهى المصلون من صلواتهم، أو خلا المسجد منهم، جاز رفع الصوت بقراءة القرآن، حيث انتفي المانع.

ويدخل فيما سبق بدء دروس العلم بعد صلاة الجماعة مباشرة في مكبرات الصوت، فهذا يؤذي المسبوق في صلاته، فينبغي أن يعطى وقتا يسيرا لإتمام صلاته، حيث إن الأولوية له، ثم يقام بعد ذلك دروس العلم.

وعن السائب بن يزيد قال: كنتُ قائمًا في المسجدِ، فَحَصَبَني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عُمَر بن الخطابِ، فقال: (اذهب فأتِني بهذينِ، فَجِئْتُهُ بِهِما، قال: مَن أنْتُما، أو من أين أنْتُما؟ قالا: من أهل الطَّائِفِ، قال: لو كنْتُما من أهل البلَدِ لأوجَعْتُكُما، تَرْفعانِ أصْواتكُما في مسجدِ رسولِ اللهَّ ﷺ)[1].

وهذا من باب الأدب مع النبي ﷺ بعد وفاته، وفي مسجده.

(١) الأثر أخرجه الإمام البخاري (٤٧٠) عن السائب بن يزيد ﷺ.

٢-**نِشْدانُ الضالة**؛ وذلك لأن المساجد لم تبن لهذا الغرض، وقد ورد النهي عن ذلك في صحيح مسلم قوله ﷺ: **"من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله إليك، فإن المساجد لم تبن لهذا"** (١).

ومن وجد شيئا بالمسجد وأراد أن يعلن عنه داخل المسجد، فهذا يأخذ حكم من ينشد الضالة، لأن الهدف الرئيسي- من النهي عن نشدان الضالة في المسجد، التشويش على المصلين، وكذلك المساجد لم تبنى لهذا الغرض.

لكن يجوز له أن ينبههم على باب المسجد، أو يكتب إعلانا في ورقة تعلق على باب المسجد، بحيث يقرؤها جمهور المسجد، وخاصة من يبحث عن ضالته، فيكون سبيلا للوصول إليها، دون الوقوع في مخالفة شرعية.

ويلحق بنشدان الضالة أيضا، من يستخدمون مكبرات الصوت الخاصة بالمسجد للأذان، في الإعلان عن تجارة، أو سلعة، أو ما شابه ذلك، خاصة أن هناك طرقا كثيرة يمكن الإعلان بها عن مثل هذه الأمور السابقة، دون استخدام مكبر الصوت الخاص بالمسجد.

٣-**البيع والشراء في المسجد**، لأنه يؤدى إلى ضياع هيبة المسجد، والتشويش على المصلين، والعبث بمتعلقاته، وقد ورد النهي عن ذلك، ففي سنن الترمذي قوله ﷺ: **"إذا رأيتم من يبيع أو يشترى، فقولوا لا أربح الله تجارتك"**(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٦٨) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٣٢١) وقال حديث حسن غريب، عن أبى هريرة ﷺ.

وفي الحديث **"نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عنِ البيعِ والابتياعِ، وعن تَناشُدِ الأشعارِ في المساجِدِ"** (١). والمقصود بالشعر هنا الفاحش الماجن، الذي يخرج عن آداب الإسلام وأخلاقه.

قال النووي -رحمه الله- في زوائد الروضة في آخر كتاب الجمعة: (البيع في المسجد مكروه، يوم الجمعة وغيره، على الأظهر) (٢).

وقال الطحاوي: (هذا إذا غلب عليه حتى يكون كالمستغرق، أما الفعل القليل منه فلا بأس به، وينبغي اجتنابه) (٣).

٤-**إخراج الريح في المسجد اختيارا؛** وذلك لكونه يؤذى المصلين، ويمنع الملائكة من مواصلة الدعاء والاستغفار، وفي البخاري قوله ﷺ: **"إن الملائكة تصلي على أحدكم، ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه"** (٤).

٥-**البزاق في المسجد،** لأنه يلوث موضع الصلاة، الذي ينبغي أن يكون نظيفا وطاهرا، وفي البخاري قوله ﷺ: **"البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"** (٥).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه (٦١٤) حديث حسن، عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٢) إعلام الساجد صـ ٣٢٥.

(٣) إعلام الساجد صـ ٣٢٤.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٤٥) عن أبى هريرة ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤١٥) عن أنس بن مالك ﷺ.

وفي الحديث أن النبي ﷺ: **"رأى نخامة في قبلة المسجد. فغضب حتى احمر وجهه. فجاءته امرأة من الأنصار فحكتها. وجعلت مكانها خلوقا. فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا"** (١).

وفي البخاري أيضا أن النبي ﷺ رأي نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه، حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: **"إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه، فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا"** (٢).

وفي رواية: **"إذا قام أحدُكم إلى الصلاةِ، فلا يَبْصُقْ أمامَه، فإنما يُناجي اللهَ ما دام في مُصَّلاه، ولا عن يمينِه، فإن عن يمينِه مَلَكًا، وليَبْصُقْ عن يسارِه، أو تحتَ قدمِه، فيدفِنُها"** (٣).

قال الإمام النووي-رحمه الله- وقوله: (وليبزق تحت قدمه وعن يساره) هذا في غير المسجد، أما المصلي في المسجد فلا يبزق إلا في ثوبه؛ لقوله ﷺ: "البزاق في المسجد خطيئة" فكيف يأذن فيه ﷺ؟! وإنما نهى عن البصاق عن اليمين تشريفا لها...

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٦٢٣) إسناده صحيح، عن انس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٠٥) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤١٦) عن أبى هريرة ﷺ.

واعلم أن البزاق في المسجد خطيئة مطلقا، سواء احتاج إلى البزاق أو لم يحتج، بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة، وعليه أن يكفر هذه الخطيئة بدفن البزاق، هذا هو الصواب) (١).

ونقل صاحب إعلام الساجد، عن صاحب شرح المهذب قوله: (ومن رأي من يبصق في المسجد لزمه الإنكار عليه، ومنعه إن قدر، ومن رأي بصاقا أو نحوه في المسجد، فالسنة أن يزيله بدفنه أو إخراجه، ويستحب تطيب محله، قال: وأما ما يفعله كثير من الناس إذا بصق أو رأي بصاقا، دلكه بأسفل مداسه الذي داس به النجاسة والأقذار فحرام، لأنه تنجيس للمسجد وتقذرا له، وعلى من رآه يفعل ذلك الإنكار على شرطه) (٢).

هذا عندما كانت المساجد مفروشة بالتراب والحصى، وليست مفروشة بالحصير، أو السجاد، أو الموكيت، كما هو الحال الآن، فإن ذلك حرام قولا واحدا.

ويلحق بالبزاق الأقذار والنجاسات، مثل البول والفصد والحجامة، وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: **"إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، وإنما هي لذكر الله، وقراءة القرآن"**(٣).

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي ١١٢١/٣.

(٢) إعلام الساجد صـ ٣٠٨.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٥) عن أنس بن مالك ﷺ.

٦-**أن يتخذ الرجل مكانا معينا ثابتا يصلي فيه**، وقد ورد النهي عن ذلك في الحديث، ففي سنن أبي داود: **"نهى النبي ﷺ عن أن يوطن الرجل المكان في المسجد، كما يوطن البعير"**(١).

ويلحق بذلك حجز أماكن الصلاة، بالسجادة، أو العصاة، أو ما شابه ذلك، خاصة في صلاة الجمعة، أو في الحرمين الشريفين، أو في صلاة القيام في شهر رمضان، وذلك لكون هذا العمل غصبا لبقعة من المسجد، ومنع غيره من السابقين من الجلوس، أو الصلاة فيها، كما أنها مدعاة للكسل عن التبكير الذي رغب فيه النبي ﷺ حيث يقول: **"لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه"**(٢).

وأحيانا نرى هذه المسألة تتكرر كثيرا، فنرى بعض الناس يتسابقون لحجز أماكن لهم في المسجد الحرام، أو النبوي، أو صلاة الجمعة، أو في صلاة القيام في رمضان، خاصة في المساجد التي بها إمام حسن الصوت والقراءة، وقد يضع أحدهم شيئا من أمتعته، ويذهب لقضاء بعض حاجاته، ثم يعود، فهل له حق في موضعه السابق أم لا؟.

يقول الإمام الزركشي: (من سبق إلى موضع من المسجد فجلس فيه للصلاة، لم يثبت له حق الاختصاص به في صلاة أخرى بعدها، بل من سبق بعد إلى ذلك

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٨٦٢) إسناده حسن، عن عبد الرحمن بن شبل ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١٥)عن أبى هريرة ﷺ.

الموضع فهو أحق به، وليس لغيره إزعاجه منه؛ لقولهﷺ: **"لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة، ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه"**(١).

فإن فارقه قبلها، فإن لم يكن لعذر بطل اختصاصه، وإن كان لعذر كإجابة داع، أو سبق رعاف، أو تجديد وضوء، أو قضاء حاجة وعاد، ففي بقاء حقه وجوه، أحدها: لا، كما لا يبقى إذا عاد لصلاة أخرى، وأصحها: يبقى؛ لقوله ﷺ: **"من قام من مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحق به"** (٢).

قال الشافعي: (يكره للرجل أن يقيم الرجل عن مجلسه ويجلس هو في مكانه، إماما كان أو مأموما، في يوم الجمعة، أو غيره، لأن السابق إلى المكان أحق به، فإن اختار صاحب المكان أن يقوم منه ويجلس غيره فيه، لم يكره للثاني أن يجلس في مكان الأول) (٣).

ومما سبق يتبين أنه يجوز له أن يعود إلى مجلسه، إذا كان قد قام لعذر، ولوقت يسير، وترك شيئا مكانه حتى يعود، ولا يكون ذلك عادة له.

٧-**يكره الخروج من المسجد أثناء الآذان**، أو بعده لغير عذر، وفي صحيح مسلم من حديث سليم بن أسود أبى الشعثاء قال: كنا مع أبى هريرة في المسجد فخرج رجل حين أذن المؤذن العصر، فقال أبو هريرة: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ)(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٧٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٧٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) إعلام الساجد صـ٤٠٣.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٥) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

يقول الإمام الزركشي: (يكره الخروج من المسجد بعد الآذان لغير ضرورة، من انتقاض طهارة، أو فوات رفقة، أو صلاة في غيره) [١].

٨-**يكره حمل الأسلحة مكشوفة داخل المسجد**، فمن دخل المسجد وكان معه سهم فعليه أن يمسك بنصله، وكذا إذا كان معه رمح فعليه أن يمسك بسنامه، روى البخاري عن جابر أن رجلا مرَّ بسهام في المسجد فقال له رسول الله ﷺ أمسك بنصالها[٢].

وفي البخاري من حديث أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال: **"من مرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل، فليأخذ على نصالها، لا يعقر بكفه مسلما"**[٣].

يقول الإمام الزركشي: (والمعنى في ذلك تأكيد حرمة المسلم، لئلا يروع بها، أو يؤذى، لأن المساجد مملوءة بالخلق، ولا سيما في أوقات الصلاة) [٤].

ويقاس على ذلك من يدخل المسجد شاهرا سلاحه، حاملا له، كأنه في ميدان حرب، أو تاركا مقدمة بندقيته (السمكي) مكشوفا، دون أن يضع له غطاءً أو جرابا، فهذا أيضا يدخل في الحكم السابق.

وأما ما فعله الأحباش في مسجده ﷺ في لعبهم بالحراب، فكان فيه إقرار منه ﷺ بالإضافة إلى أنه كان تدريبا وتمرينا على وسائل الجهاد والحرب، وتنشيطا للنفس من الملل.

---

(١) إعلام الساجد صـ ٣٥١.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٧٣) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٥٢) عن أبى موسى الأشعري ﷺ.

(٤) إعلام الساجد صـ ٣٥٥.

٩-**عبث الصبيان والمجانين داخل المسجد**، يقول الشيخ محمود خطاب السبكي في الدين الخالص: (ويجب أن يصان المسجد عن دخول الصبيان والمجانين، إذا خيف تلويثه، وذلك لحديث ابن ماجة أنه ﷺ قال: **"جنبوا مساجدكم صبيانكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع"**[١].

فيكره إدخال الصبيان والمجانين المسجد، إذا غلب تنجيسهم إياه، ويجوز إدخالهم إذا أمن النجاسة، وإن كان الأولى فيه تنزيه المسجد عمن لا يؤمن عنه حدث، وفي الصحيح أن النبي ﷺ **"كان يصلي وهو حامل أُمامه، بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"** [٢].

يقول الإمام الزركشي: (يكره إدخال البهائم والمجانين والصبيان الذين لا يميزون المسجد، من غير حاجة مقصودة، لأنه لا يؤمن تنجيسهم المسجد) [٣]. ويظهر أن العلة في المنع، التلويث والتنجيس لمكان الصلاة، فإذا أمن ذلك فلا مانع.

أقول: فإذا دخل الأطفال والغلمان المسجد لتعلم الصلاة، وحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وتبصيرهم بسيرة النبي ﷺ ومغازيه، فلا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٧٥٠) والحديث إسناده ضعيف، عن أبى الدرداء، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وواثلة وأبو أمامة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥١٦) عن أبى قتادة الأنصاري الحارث بن ربعي ﷺ.

(٣) إعلام الساجد صـ ٣١٢.

بأس، إذا تم المحافظة على أدب المسجد، ووقاره ونظافته، وتعليم الأولاد أدب المسجد والمجلس، كما أن حديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ضعيف.

ويجوز إدخال البعير في المسجد، مع المحافظة على نظافته ورائحته فلقد، طاف النبي ﷺ حول بيت الله الحرام وهو على بعيره، فعن صفيَّةَ بنتِ شيبةَ قالَت: **"ما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ بمَكَّةَ عامَ الفتحِ، طافَ على بَعيرٍ يستلمُ الرُّكنَ بمِحجَنٍ في يدِهِ"** (١).

١٠-**الإسراف والمبالغة في المنارات،** فالمآذن والمنارات تميز المسجد عن غيره من بيع اليهود، وكنائس النصارى، والبيوت والمساكن، لكن تعدد المآذن في المسجد الواحد، وزخرفتها والمبالغة في الإنفاق عليها بعشرات الآلاف، يوقع المسلمين في دائرة الإسراف المنهي عنه شرعا.

في حين أن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى النقود لسد ضروريات المسلمين، الذين يعانون من الفقر والمرض والجوع والحرمان، في أماكن متفرقة في العالم، فيكفي مئذنة واحدة لتكون عنوانا للبناء، وأما ما زاد عن ذلك، فما الغرض والفائدة منه؟ خاصة في عصر تعانى منه الأمة كثيرا من الأزمات، ونقص في الضروريات، وتحتاج إلى فقه الأولويات.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٨٧٨) صحيح، عن صفيَّةَ بنتِ شيبةَ ﵂.

(١١) أحكام لها صلة بالمساجد.

١ - النذر بالصلاة في المساجد:

لو أن إنسانا نذر أن يصلى في غير المساجد الثلاثة، فهذا النذر لا يلزمه؛ لما رواه أبو هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى"**[١].

فما سوى هذه المساجد الثلاث ليست لها خصوصية، بل إنها تتساوى جميعا، قال الزركشي: (لو عين مسجدا غير المساجد الثلاثة لأداء فريضة أو نافلة لم يتعين، لأنه لم يثبت لبعضها فضل على بعض، فلم يتعين لأجل ذلك منها ما عينه، هذا هو المشهور، وقيل يجوز في الفرض دون النفل إذا عين المسجد الجامع لمزية فيه) [٢].

فمن نذر الصلاة في أحد المساجد الثلاث، فإن ذلك يلزمه، لأن هذه المساجد لها أفضلية، كما ورد في الحديث السابق، حيث يجوز شد الرحال إليها دون غيرها.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها، لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة الأمم السالفة، يعنى المسجد الأقصى، والثالث أسس على التقوى، يعنى مسجد الرسول ﷺ)[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٨٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) إعلام الساجد صـ ٣٩٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٣/٦٥.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (لا يجب النذر بالسفر إلى غير المساجد الثلاثة، لأنه ليس بطاعة، لقول النبي ﷺ: **"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"** فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فغير المساجد أولى بالمنع؛ لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد، وغير البيوت بلا ريب.

ولأنه قد ثبت في الصحيح عنه، أنه قال: **"أحب البقاع إلى الله المساجد"** مع أن قوله: **"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"** يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة، وطلب العلم، ونحو ذلك، فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان) [1].

❁❁❁

٢-إقامة الحدود بالمساجد:

لا يجوز للحاكم أو القاضي إقامة وتطبيق الحدود، على المذنبين داخل ساحة المسجد، وذلك لما ورد في سنن أبى داود: **"نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود"**[2]. قال الإمام الزركشي-: (ولا تقام الحدود في المسجد، لاحتمال تلويث المسجد بجرح أو حدث) [3].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢١/٢٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٤٩٠) حديث حسن عن حكيم بن حزام ﷺ. وأما النهى عن إنشاد الشعر في هذا الحديث، فالمقصود به الشعر الفاحش الماجن، الذي يخرج عن الآداب الإسلامية.

(٣) إعلام الساجد صـ٣٧٣.

ولعل النهي في الحديث عن إقامة الحدود في المسجد، لأنه عند تنفيذ الحد يقع لغط من الناس، وترتفع أصواتهم، كما أن الدم قد يلوث المسجد، وهذا كله يتنافى مع طهارة المسجد ونظافته، وما ينبغي أن يكون عليه من الهيبة والوقار، والاحترام والتقدير.

❁❁❁

٣- التلاعن في المسجد:

يباح اللعان في المسجد بين المتلاعنين، لما ورد في عصر النبي ﷺ : "أن رجلا من الأنصارِ جاء إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رجلا وجَدَ مع امرأتِه رجلا، أيقتُلُه أم كيف يفعلُ؟ فأنزل اللهُ في شأنِه ما ذكر في القرآنِ من أمرِ المتلاعنين.

فقال النبيُّ ﷺ: **قد قضى اللهُ فيك وفي امرأتِك**، قال: فتلاعنا في المسجدِ وأنا شاهدٌ، فلما فَرَغا قال: كَذَبتُ عليها يا رسولَ الله إن أمسكتُها، فطلَّقَها ثلاثًا، قبل أن يأمرَه رسولُ الله ﷺ حين فَرَغا من التلاعُنِ، ففارقها عند النبيِّ ﷺ فكان ذلك تفريقًا بين كلِّ متلاعنينِ.

قال ابنُ جُريجٍ، قال ابنُ شِهابٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ في هذا الحديث: أن النبيَّ ﷺ قال: **"إن جاءت به أحمرَ قصيرًا، كأنه وحَرَةٌ، فلا أُراها إلا قد صدقت وكذب عليها، وإن جاءت به أسودَ العينِ، ذا أَلَيَتين، فلا أُراه إلا قد صدق عليها، فجاءت به على المكروهِ من ذلك"** [١]. ❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٣٠٩) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

٤-صلاة الجنازة في المسجد:

يجوز أداء صلاة الجنازة على الميت في المسجد، وقد ورد عن عائشة ﵂ أنها أمرت أن يمر بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد، فتصلي عليه، فأنكر الناس ذلك عليها، فقالت: "ما أسرع ما نسي الناس! ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا في المسجد) (١).

ويجوز صلاتها خارج المسجد في المكان المتسع، إذ العبرة بالمكان الذي يسع عدد المصلين، أو أكبر قدر من الناس.

❁❁❁

٥-صلاة العيدين في المسجد:

الأصل في صلاة العيدين أنها في الخلاء، وذلك لاتساع المكان، حيث يحضر أهل القرية كلهم، فيظهر المسلمون في كثرتهم، وأنهم لا تحدهم حدود أو جدران.

وقد ورد في السنة أنه ﷺ لم يصل العيد في المسجد إلا مرة، لأجل مطر أصابهم، ففي سنن ابن ماجه عن أبى هريرة ﵁ قال: **"أصاب الناس مطر في يوم عيد على عهد رسول الله ﷺ فصلى بهم في المسجد"** (٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٩٧٣) عن عائشة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (١٣١٣) حديث ضعيف، عن أبى هريرة ﵁.

وصلاة العيد في الخلاء أوقع لهيبة المسلمين، وإعلام وإظهار لشعائر الدين، وكان المصلى على أبواب المدينة، واستثنى العلماء مكة، فقالوا: إن صلاة العيد في المسجد الحرام أفضل، ما لم يكن هناك عذر من مطر ونحوه.

❁❁❁

٦- المكث في المسجد للجنب والحائض والنفساء:

لا يجوز للجنب والحائض والنفساء المكث في المسجد، بمعنى أن يجلسوا فيه فترة من الزمن، وقد ورد النهي عن ذلك في الحديث قال ﷺ: **"إني لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب"** (١).

أما المرور العابر في المسجد، من غير مكث فيه فلا بأس به، وفي الحديث أنه ﷺ قال لعائشة: **"ناوليني الخمرة من المسجد، فقالت إني حائض، فقال: إن حيضتك ليست في يدك"** (٢).

ويدخل هذا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ (٣).

ويجب على المرأة عند الذهاب إلى المسجد أن تراعي آداب الإسلام، فتلبس الثياب الفضفاض، الذي يستر عورتها، وكذا الخمار الواسع الذي يغطي الشعر

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٣٢) حديث ضعيف، وله شواهد تجعله في درجة الحسن، عن عائشة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٨) عن عائشة ﵂.

(٣) سورة النساء الآية (٤٣).

والصدر، ولا تضع عطرا أو طيبا، ولا تزاحم الرجال في الطريق، أو داخل المسجد، وإنما تصلى خلف صفوفهم.

وفي الحديث قال ﷺ: **"خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها"** (١).

❁❁❁

٧-بناء المساجد على القبور:

المسجد حياة وإشراق، يبعث الأمل في النفوس، وينشر النور في القلوب والصدور، فيحي الأموات، ويوقظ النائمين، وينبه الغافلين، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٢).

أما القبر فهو موت وسكون ومحاسبة، ومرحلة انتقالية بين الدنيا والآخرة، فكيف نجمع بينهما، وقد ورد النهي في السنة عن ذلك.

فبنيت المساجد للعبادة، وبنيت القبور للدفن، ولا يجوز الجمع بينهما في موضع واحد، فإذا كان هناك مسجد أعد للصلاة، فلا يجوز أن يقام بداخله قبر، وإذا كان هناك قبر أعد للدفن، فلا يجوز أن يقام عليه مسجد، وما بني أولا يعد الأصل، وما أضيف إليه يزال من موضعه.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٤٠) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) سورة الأنعام الآية (١٢٢).

روى الإمام أبو داود في سننه عن ابن عباس قال: **"لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج"** (١).

وفي صحيح مسلم: **"لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها"** (٢).

إن هذا التحذير النبوي إنما يسد الأبواب على كل من يريد اتخاذ المقابر مساجد، لا سيما أن اليهود والنصارى قد وقعوا في هذا الانحراف المبين.

وفي الحديث قال ﷺ: **"اشتد غضب الله على قوم، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد"** (٣).

وفي البخاري عنه ﷺ قال: **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** (٤).

يقول الإمام القرطبي-رحمه الله-: (اتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها، والبناء عليها، إلى غير ذلك، مما تضمنته السنة من النهي عنه، ممنوع لا يجوز) (٥).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٢٠) وقال حديث حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١٨٠). عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٩٧٢) عن أبى مرثد الغنوي ﷺ.

(٣) الحديث أورده عبد الرزاق في مصنفه في الصلاة على القبور ٤٠٦/١ (٥٨٧) حديث مرسل غريب وهو صحيح، عن عطاء بن يسار ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٣٥) عن عائشة ﷺ.

(٥) تفسير القرطبي ١٩٨/١٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء أكان ذلك ببناء المسجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد، لا نبي ولا غير نبي) (١).

ويقول د/ صلاح الصاوي: (وأما حكم هذه الصلاة، فهو مسألة خلافية عند أهل العلم، فمنهم من أفتى ببطلانها، ومنهم من قال بصحتها مع الإثم، وأما كراهتها فهي موضع اتفاق الجميع، فإن جمهور الأئمة على أن الصلاة فيها منهي عنها، إما نهي تحريم، أولا تصح، كالمشهور من مذهب أحمد وغيره، وإما نهي تنزيه كمذهب الشافعي، وموارد الاجتهاد لا يضيق فيها على المخالف) (٢).

وإذا أقام المسلمون مسجدا، فلا يجوز شرعا أن يقيموا عليه قبرا أو ضريحا، وكذلك العكس صحيح.

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-: (وأكره أن يبنى على القبر مسجد، وأن يسوى، أو يصلى عليه وهو غير مسوى، أو يصلى إليه، وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء) (٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٨٨/٢٧.

(٢) التطرف الديني الرأي الآخر د/ صلاح الصاوي صـ١٥٠ ط الأولى سـ١٤١٣هـ سـ١٩٩٣م الأفاق الدولية للإعلام.

(٣) الأم للإمام الشافعي ٢٧٨/١.

وقال الشيخ الألباني-رحمه الله-: (وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، ومنهم من صرح بأنه كبيرة) [١].

والإسلام بهذا يسد الباب أمام كل إنسان يتبع هواه، في أن يبتدع في دين الله، أو يضيف إليه ما ليس منه، وكذا يسد منافذ الشرك، أمام كل من يعظم ميتا لشخصه بعد وفاته.

وعنون الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه: (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) [٢].

وعنون الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه: (النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي من اتخاذ القبور مساجد)[٣].

وقال الإمام الزركشي-رحمه الله-: (يكره بناء المسجد بين المقابر، لأنه ﷺ نهى عن الصلاة في المقبرة، وقد صح الحديث: **"لا تتخذوا قبري مسجدا"** قال صاحب المغنى: وقد روى قتادة: أن أنسا مر على مقبرة، وهم يبنون فيها مسجدا، فقال أنس: كان يكره أن يبنى مسجد وسط القبور) [٤]

---

(١) انظر تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني صـ ٣٣. طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي/ الطابعة الثانية/ بدون تاريخ.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٣/٢٠٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/١١.

(٤) إعلام الساجد صـ ٣٥٦.

والسبب الرئيسي في نهي النبي ﷺ عن اتخاذ القبر مسجدا هو أن يغلق الباب أمام منافذ الشرك أو الوثنية، فما جاءت عبادة الأصنام إلا من هذا الباب، حيث كان هناك نفر صالحون من بنى آدم قبل عصر نوح عليه السلام ولما ماتوا صنع لهم قومهم تماثيل ليتذكروهم، ويقتدوا بهم في العبادة، فلما جاءت أجيال متعاقبة، سول لهم إبليس أن السابقين كانوا يعبدونهم، فعبدوهم من دون الله ﷻ.

وهذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: (الشيطان يجر الناس من هذا إلى غيره، لكن هذا أقرب إلى الناس، لأنهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك منه، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله به، وتارة يصلون ويدعون عند قبره، ظانين أن الصلاة والدعاء عند قبره، أفضل منه في المساجد والبيوت، ولما كان هذا مبدأ الشرك سدّ النبي ﷺ هذا الباب كما سدّ باب الشرك بالكواكب)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة رضي الله عنها وأم سلمه رضي الله عنها ذكرتا كنيسة رأيناها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: **"إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا**

---

(١) سورة نوح الآيتان (٢٣-٢٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦١/١٧.

على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[١].

ومن ثم حرم الإسلام التماثيل، والصور المجسمة؛ حتى لا تكون سببا في فتنة الناس، أو مدخلا من مداخل الشيطان، أو يخلع عليها الناس هالة من التعظيم والتوقير، فتصرفهم من عبادة الله ﷻ وبمرور الوقت، وضعف الذاكرة والعزيمة، مع وساوس الشيطان، يعبدهم الناس من دون الله ﷻ أو يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله، فيقعوا في الشرك أو الوثنية أو دون ذلك.

وفي الحديث: "إنَّ الشيطانَ قد أيسَ أن يُعْبَدَ بأرضِكم هذه، و لكنَّهُ قد رضيَ منكم بما تُحقِّرونَ"(٢).

ولقد جاء التحذير من النبي ﷺ للصحابة بعدم اتخاذ قبره من بعده مسجدا، حتى لا يتفاقم الأمر بمرور الزمن.

فقال ﷺ داعيا الله ﷻ: **"اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٢٧) عن عائشة ﵂.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني (٢٦٣٥) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين عن أبي هريرة ﵁.

(٣) الحديث أورده ابن عبد البر في التمهيد ٤١/٥. حديث مرسل غريب وهو صحيح، عن عطاء بن يسار ﵁.

من أجل ذلك لم يكن قبر النبي ﷺ بارزا عن الأرض، حتى لا يتخذه الناس مسجدا لهم على مر الأزمان.

وفي عهد سيدنا عثمان احتاج المسلمون إلى التوسع في المسجد النبوي بسبب كثرة المصلين، فبنوا على قبره ﷺ حيطانا، حتى لا يظهر في المسجد، فيقع الناس في المحذور، ونبههم العلماء على أن لا يتخذوا موضع قبره ﷺ قبلة، أو تجاه قبلتهم.

❁❁❁

٨-من المواضع المنهي عن الصلاة فيها، أو محل خلاف:

-**الصلاة بين السواري**: تكره الصلاة بين السواري عند السعة، ولا تكره عند الضيق، فعن أنس قال: "كنا ننهى أن نَصفَّ بين السواري على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ و نُطرَدَ عنها طرْدًا" (١).

وهناك من يرى الجواز للإمام والمنفرد بين السواري: أُتِيَ ابنُ عُمَرَ فقِيلَ له: (هذا رَسولُ اللهِ ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ، فَقالَ ابنُ عُمَرَ: فأقْبَلْتُ والنبيُّ ﷺ قدْ خَرَجَ وأَجِدُ بلَالًا قَائِمًا بيْنَ البَابَيْنِ، فَسَأَلْتُ بلَالًا، فَقُلتُ: أصَلَّى النبيُّ ﷺ في الكَعْبَةِ؟ قالَ: نَعَمْ، رَكْعَتَيْنِ، بيْنَ السَّارِيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ علَى يَسَارِهِ إذَا دَخَلْتَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَصَلَّى في وجْهِ الكَعْبَةِ رَكْعَتَيْنِ) (٢).

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٣٣٥) إسناده حسن، وله شواهد عن قرة بن إياس المزنيﷺ. وأخرجه ابن ماجة (١٠٠٢) واللفظ له، والبزار (٣٣١٢) وابن خزيمة (١٥٦٧).

(٢) البخاري (٣٩٧) عن عبد الله بن عمرﷺ.

- **الصلاة في الكنيسة والبيعة**: (يرى الحنفية والشافعية بكراهة الصلاة فيها مطلقا، بينما هناك من يرى الجواز، فقد صلى أبو موسى الأشعري ﷺ وعمر بن عبد العزيز ﷺ في الكنيسة. ولم ير الشعبي وعطاء وابن سيرين بالصلاة فيها بأسا، وقال البخاري: كان ابن عباس ﷺ يصلي في بيعة إلا بيعة فيها تماثيل) ([١]).

❁❁❁

٩-الاعتكاف بالمسجد:

الاعتكاف: يعني لزوم المسجد، والإقامة فيه بنية التقرب إلى الله تعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ ([٢]).

والاعتكاف سنة مؤكدة، وهو ما تطوع به المسلم تقربا إلى الله، وطلبا لثوابه، واقتداء بالنبيﷺ وفي الحديث: (كانَ النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانٍ عَشَرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كانَ العَامُ الذي قُبِضَ فيه اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا)([٣]).

والهدف منه: هو الانقطاع عن الاشتغال بالخلق، وتفريغ القلب من أمور الدنيا، والاشتغال بالله وحده سبحانه.

---

(١) فقه السنة للشيخ/ سيد سابق ١/١٩٠.

(٢) سورة البقرة الآية: (١٨٧).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٠٤٤) عن أبي هريرةﷺ.

ومن حِكمه: صلاح القلب، واستقامته على طريق سيره إلى الله، بلم شعثه بالإقبال على الله، وترك فضول المباحات، وتحقيق الأنس بالله، والاشتغال به وحده؛ والتفكر في تحصيل ما يرضي الله ويقرب إليه من قراءة القرآن، والذكر، والدعاء.

والاعتكاف المستحب ليس له وقت محدد، فصاحبه يثاب ما دام استحضر النية، ومكث في المسجد فترة قصيرة أو طويلة، وإذا خرج ثم عاد جدد النية.

فعن يعلي ابن أمية قال: (إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لأعتكف). وعن عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عطاء يخبر عن يعلى بن أمية قال: (إني لأمكث في المسجد الساعة، وما أمكث إلا لأعتكف...قال عطاء: هو اعتكاف ما مكث فيه، وإن جلس في المسجد احتساب الخير فهو معتكف، وإلا فلا)([1]).

والاعتكاف يصح في كل مسجد تقام فيه الصلوات الخمس، ويرى الشافعية أن الأفضل أن يكون في المسجد الجامع.

وأما اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، فإنه يدخله قبل غروب الشمس في ليلة الحادي والعشرين من رمضان، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم في رمضان، ويستحب الخروج إلى صلاة العيد.

(١) الأثر ذكره عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ٣٤٦/٤.

ويباح للمعتكف الخروج منه للضرورة، وإقامة النظافة البدنية الشخصية، ويباح له الخروج للجنازة، وعيادة المريض، ويباح له الأكل والشرب والنوم داخل المسجد، مع المحافظة على نظافته وطهارته.

ومن نذر الاعتكاف في أحد المساجد الثلاث، وجب عليه الوفاء به، وأما في غيرها فلا يلزمه المسجد الذي عينه، وله أن يعتكف في أي مسجد شاء.

❁❁❁

١٠-حكم صلاة الجماعة للرجال في المسجد:

اختلف أهل العلم في حكم صلاة الجماعة للرجال على أقوال يمكن تلخيصها في قولين:

(**القول الأول**: صلاة الجماعة واجبة على الأعيان، إلا لعذر، وهو مروي عن ابن مسعود وأبي موسى، وبه قال عطاء والأوزاعي وأبو ثور، وهو مذهب أحمد وابن حزم وهو اختيار شيخ الإسلام، على اختلاف بينهم، هل هي شروط في صحة الصلاة أو لا؟ [١] **واستدلوا بما يأتي:**

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

(١) انظر المغني لابن قدامة ١٧٦/٢، وكشاف القناع ٤٥٤/١، والبدائع ١٥٥/١، والمحلى لابن حزم ١٨٨/٤، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣٩/٢٣.

أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡ ۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

قالوا: إن الله أمر بصلاة الجماعة في حال الخوف، ففي حال الأمن أولى وآكد. ثم إنه اغتفرت -في صلاة الخوف- أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة ما ساغ ذلك.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

وذلك يكون في حال المشاركة في الركوع، فكان أمرا بإقامة الصلاة بالجماعة، ومطلق الأمر لوجوب العمل.

٣-في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرِّق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدُهم أنه يجد عَرْقا سمينا - العظم الذي عليه عظم- أو مِرْمَاتَين حسنتين؛ لشهد العشاء"** [3].

قالوا: وهو ظاهر في كونها فرض عين، لأنها لو كانت سنة لم يهدد تاركها بالتحريق، ولو كانت فرض كفاية؛ لكانت قائمة بالرسول ومن معه.

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٢).

(٢) سورة البقرة الآية (٤٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٤). والإمام مسلم (٦٥١) عن أبى هريرة ﷺ.

وقد أجيب عن الاستدلال بهذا الحديث على وجوبها على الأعيان بأجوبة: منها أن المراد المنافقون لا المؤمنون، ومنها: أنه هـمَّ ولم يفعـل، ولـو كـان واجبـا مـا عفـا عنهم.

ومنها: أن المراد صلاة الجمعة كما في الروايـة الأخـرى، وغـير ذلـك. وأجـاب المجيبون عن هذه الأوجه كلها بما يطول ذكره ههنا فليراجع(١).

٤-حديث أبي هريرة ﷺ قال: **"أتى النبي ﷺ رجل أعمى، فقال: يـا رسـول الله ﷺ إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخِّص لـه فيصـلي في بيته، فرخَّص له، فلما ولَّى دعاه، فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعـم، قـال: فأجب"** (٢).

٥-حديث مالك بن الحويرث ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا -وقـد أتيتـه في نفر من قومي-: **"إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"** (٣).

٦-حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"ما من ثلاثة في قرية أو بدو لا تقـام فيهم الصلاة إلا اسـتحوذ علـيهم الشـيطان، فعليـك بالجماعـة، فـإن الـذئب يأكـل القاصية"** (٤).

---

(١) انظر فتح الباري ١٤٨/٢-١٥١. وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ١٦٦/١، والمحلى ١٩١/٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٣) عن أبى هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٢٨) عن مالك بن الحويرث ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢١٠١) عن أبي الدرداء ﷺ.

٧-ما رُوي عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"من سمع النداء فلم يُجب، فلا صلاة له إلا من عذر"** [١]. والصواب أنه موقوف.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد عُلم نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة، وقال: إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه) [٢].

وأجيب: بأنه قول صحابي ليس فيه إلا حكاية المواظبة على الجماعة وعدم التخلف عنها، ولا يستدل بمثل هذا على الوجوب، ثم فيه دليل لمن خصَّ الوعيد بالتحريق في حديث أبي هريرة ﷺ بالمنافقين.

❁❁❁

القول الثاني: صلاة الجماعة لا تجب وجوبًا عينيًّا: وهو مذهب الجمهور: أبي حنيفة ومالك والشافعي، على اختلف بينهم هل هي سنة أو سنة مؤكدة أو فرض كفاية؟ [٣] واستدلوا بما يلي:

١-قول النبي ﷺ: **"صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"** وبما في معناه، قالو: فالتفضيل يدل اشتراكهما في أصل الفضل، وهذا يدلُّ على عدم وجوبها على الأعيان، إذ لا يقال: الإتيان بالواجب أفضل من تركه، ولا يقال: إن

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٠٦٤) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) انظر البدائع ١٥٥/١، وابن عابدين ٣٧١/١، والقوانين ٦٩، والخرشي ١٦/٢، والمجموع ١٨٤/٤، ومغني المحتاج ٢٢٩/١.

لفظة (أفعل) قد تَرِدُ لإثبات صفة في إحدى الجهتين ونفيها عن الأخرى، و(أفضل) المضافة إلى صلاة الفذ كذلك، لأن هذا إنما يصح في (أفعل) مطلقا غير مقرون بـ (مِنْ) على أن في بعض ألفاظه عند مسلم: (تزيد عن صلاته وحدَهُ) وفيه التصريح بصحة الصلاة وحده).

وأجاب الأولون: بأن التفاضل إنما هو على صلاة المعذور التي تجوز -جمعا بين الأدلة- وهي دون صلاة الجماعة في الفضل.

٢-حديث يزيد بن الأسود ﷺ في قصة الرجلين اللذين صليا في رحالهما وأتيا المسجد فلم يصليا، فقال لهما النبي ﷺ: **"لا تفعلا، إذ صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم، فإنها لكما نافلة"**

قالوا: فلم ينكر عليهما صلاتهما في رحالهما. وأجيب: بأنها واقعة عين يحتمل أن يكون لهما عذر في ترك الجماعة.

٣-حديث أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **"أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام"** (١). وفي لفظ لمسلم: **"حتى يصليها مع الإمام في جماعة.."** (٢).

وهو صريح في اشتراك المنفرد والمصلي في جماعة في أصل الأجر، قلت: وهذا أقوى أدلتهم في نظري.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٥١) عن أبي موسى الأشعري ﷺ. وعبد الله بن قيس ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٦٢) عن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس ﷺ.

٤- حديث ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: **"من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يقربنَّ مسجدنا"** (١).

وما في معناه، قالوا: يلزمه أحد أمرين: إما أن يكون أكل هذه الأمور مُباحا، وصلاة الجماعة غير واجبة على الأعيان، أو تكون الجماعة واجبة على الأعيان ويمتنع أكل هذه الأشياء.

والجمهور على إباحتها -يعني: البصل والثوم ونحوهما- فتكون الجماعة غير واجبة على الأعيان، لجواز تركها لأكل هذه الأشياء، وأجيب بأن الجماعة واجبة، ولا تتم إلا بترك أكل الثوم، فيجب ترك أكله عند الصلاة.

٥-يمكن الاستدلال بحديث الرجل الذي صلى خلف معاذ فأطال القراءة، فتنحى وصلى منفردا، ثم شكا إلى النبي ﷺ ولم ينكر عليه. وقد يجاب عنه: بأن تطويل الإمام عذر في ترك الجماعة.

والراجح في المسألة:

لا شك أن الجمع بين الأحاديث المتقدمة ما أمكن هو المتعيِّن، والذي تجتمع عليه النصوص السابقة -في نظري- ولا يهدر شيئا منها أن يقال: إن صلاة الجماعة فرض كفاية، كقول الشافعي -رحمه الله- وهذا أعدل الأقوال وأصوبها، على أنه

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٥٣) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

ينبغي أن يُعلم أنه لا يفرِّط فيها ويخلُّ بملازمتها -لغير عذر- إلا محروم مشئوم، والله تعالى أعلم) [١].

❁❁❁

١١- صلاة المرأة في المسجد، وحضورها لمجالس العلم:

كانت المرأة في عصر النبي ﷺ من هؤلاء الذين تربوا على يديه ﷺ وتخرجوا في مسجده، وتعلموا في داخله من النبي ﷺ في خطبه ودروسه، فكانت تسمع منه القرآن، وتتعلم منه الحلال والحرام، وتستمع إلى المواعظ التي ترقق القلب، وتدمع العين، وتهذب المشاعر والأحاسيس. وكن يتعلمن الأحكام الفقهية التي تخص المرأة المسلمة، وتسأل عما تحتاجه من أمور دينها، دون خجل أو حياء.

وقبل ذلك كانت تصلي وراءه صلاة الجماعة، ولذلك جاء الحديث النبوي الشريف، قال ﷺ: **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"** [٢].

وعن عائشةَ ﵂ قالتْ: **"إنْ كان رسولُ الله ﷺ ليُصلِّي الصبحَ، فيَنصرِفُ النساءُ متلفِّعاتٍ بمُروطهنَّ، ما يُعرَفْنَ من الغَلَس"** [٣].

وعن أبي قَتادةَ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"إنِّي لأقومُ إلى الصَّلاةِ، وأنا أُريدُ أن أُطوِّلَ فيها، فأسمعَ بُكاءَ الصبيِّ، فأتجوَّزَ في صلاتي؛ كراهةَ أن أشقَّ على أمِّه"** [٤].

---

(١) انظر صحيح فقه السنة وأدلته، أبو مالك كمال السيد سالم١/٥٠٥ وما بعدها، ط/ المكتبة الوقفية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٤٩) عن عبد الله بن عمر ﵄.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧٤٨) عن عائشة ﵂.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٣) عن أبي قتادة الأنصاري ﵁.

وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **"صلاةُ المرأةِ في مَخدعِها أفضلُ من صلاتِها في بيتِها، وصلاتُها في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في حُجرتِها"** (١).

والمرأة تسعى لطلب العلم الشرعي لأنها مكلفة مثل الرجل سواء بسواء، ومن المفيد تخصيص مجلس علم خاص لهن، لأن لديهن أسئلة متعلقة بالأحكام الفقهية للمرأة، وقد تستحي أن تسأل عنها أمام الرجال.

ولما سألت المرأة النبي ﷺ عن كيفية التطهر من الحيض، جذبتها السيدة عائشة لتعلمها، ففي الحديث عن عائشة ﷺ قالت: **"إن امرأةً سألت النبي ﷺ عن غُسلِها مِنَ المَحيضِ، فأمرها كيف تَغتَسِلُ، قال: خُذي فِرصَةً مِن مَسكٍ، فتَطَّهري بها، قالت: كيف أتَطَهَّرُ؟ قال: تَطَهَّري بها، قالت: كيف؟ قال: سُبحانَ اللهِ، تَطَهَّري، فاجتَبَذتُها إليَّ، فقلتُ: تَتَبَّعي بها أثَرَ الدَّمِ"** (٢).

وقالت النساء للنبي ﷺ: "غَلبَنا عليك الرجالُ، فاجعل لنا يومًا من نفسكَ، فوَعَدَهُنَّ يومًا لقيَهُنَّ فيهِ، فوعَظَهُنَّ وأمرَهُنَّ، فكان فيما قال لهُنَّ: **ما مِنكُنَّ امرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثَةً مِن ولَدِها، إلا كان لها حجابًا من النارِ، فقالتْ امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: واثنينِ"** (٣).

ولقد تعجبت السيدة عائشة ﷺ من إقبال النساء على طلب العلم والتفقه فيه، ففي الحديث، سمعْتُ صفيةَ تحدثُ عن عائشةَ؛ أن أسماءَ سألت النبيَّ ﷺ عن غُسلِ المحيضِ؟ فقال:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٧٠) إسناده صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣١٤) عن عائشة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٠١) عن أبى سعيد الخدري ﷺ.

"تأخذُ إحداكُن ماءَها وسدرتَها فَتَطَّهرُ فتُحسنُ الطُّهورَ، ثم تصبُ على رأسِها فتَدْلُكُهُ دلكًا شديدًا؛ حتي تبلُغَ شُؤونَ رأسِها، ثم تصبُّ عليها الماءَ، ثم تأخذُ فِرْصَةً مُمَسَّكةً فتطهَّرُ بها، فقالت أسماءُ: وكيف تطهَّرُ بها؟ فقال" سبحان الله! تطَّهرين بها، فقالت عائشةُ: (كأنها تخفي ذلك) تتبَّعين أثرَ الدمِ.

وسألته عن غُسلِ الجنابةِ؟ فقال: **"تأخذُ ماءً فتطهَّرُ، فتحسنُ الطُّهورَ، أو تُبلغُ الطُّهورَ، ثم تصبُّ على رأسها فتدلُكُهُ، حتى تبلُغَ شؤونُ رأسِها، ثم تُفيضُ عليها الماءَ، فقالت عائشةُ: نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ! لم يكن يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدينِ"** وفي رواية: **"قال: سبحان الله! تطهَّري بها واستَتَرَ"** (١).

فيجوز للمرأة الذهاب إلى المسجد إذا احتاجت إليه، ولا يجوز لزوجها أن يمنعها، ما لم يوفر لها البديل الذي يحقق الغرض من الذهاب.

وعنِ ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إذا استأذَنَت أحدَكم امرأتُه إلى المسجدِ فلا يمنَعْها قال بلالُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ قال: واللهِ لنمنَعُهنَّ قال: فسبَّه عبدُ اللهِ بنُ عمرَ أسوأَ ما سمِعْتُه سبَّه قطُّ.**

وقال: سمِعْتَني قُلْتُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: إذا استأذَنَت أحدَكم امرأتُه إلى المسجدِ فلا يمنَعْها قُلْتَ: واللهِ لنمنَعُهنَّ؟!" (٢).

وقد وضع العلماءَ عدة شروط لذهاب المرأة إلى المسجد، منها ما يتعلق بذات المرأة، ومنها ما يتعلق بغيرها:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٣٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٢١٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ومن تلك الشروط قال النووي-رحمه الله-: (أن لا تكون متطيبة، ولا متزينة، ولا ذات خلاخل يسمع صوتها، ولا ثياب فاخرة تلفت الأنظار، ولا مختلطة بالرجال، ولا شابة ونحوها، مما يفتتن بها، وأن لا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوه) (١).

وهذه الشروط السابقة بعضها ورد في الأحاديث، وبعضها يتفق مع مقاصد الشريعة، من باب سد الذرائع، خاصة ما يسبب الفتنة، ويحرك الشهوة والغريزة عند الرجال، إذا الهدف من التوجه إلى المسجد العبادة، فلا يكون سببا في ضرر الآخرين.

فعن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **"أيُّما امرأةٍ أصابتْ بخورًا، فلا تشهدْنَ معنا العِشاءَ الآخِرةَ"** (٢).

وعن أبي هُرَيرَةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **"لا تَمْنَعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ، ولكن ليخرُجْنَ وهنَّ تَفلاتٌ"** (٣).

وعن زَينبَ الثقفيَّةِ امرأةِ ابنِ مسعودٍ ﷺ وعنها، قالت: قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: **"إذا شهِدَتْ إحداكنَّ المسجدَ، فلا تمسَّ طِيبًا"** (٤).

وعنِ ابنِ عُمرَ -رضي الله عنهما- قال: "كانتِ امرأةٌ لعُمرَ تشهَدُ صلاةَ الصَّبحِ والعِشاءَ في الجماعةِ في المسجدِ، فقيل لها: لِمَ تَخرُجينَ وقد تَعْلمينَ أنَّ عُمرَ يَكرهُ ذلك

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٦/٢.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٤٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٦٥) حسن صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٤٣) عن زينب ﷺ امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ.

ويغارُ؟! قالت: وما يَمنَعُه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قولُ رسولِ الله ﷺ لَا تَمنَعوا إماءَ اللهِ مساجِدَ الله"[١].

يقول الشيخ محمد الغزالي: (ولكني أعلم علم اليقين أن النبي ﷺ نظم صفوف النساء في مسجده الشريف، وجعل للنساء بابا خاصا بهن، ونهى الرجال أن يقتربوا من صفوف النساء، بأن يتأخر بعضهم عن الصف الأول، ليكون قريبا من النساء، وقال في ذلك ﷺ: **"لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار"** [٢].

وكان النساء يحضرن الجامعات كلها من الفجر إلى العشاء، فإذا كان ذلك يخالف الفضل أو ينقص الأجر، فلماذا تركهن النبي ﷺ يتحملن هذه المعاناة ليلا ونهارا؟ ولست مع ابن حزم في أن النساء والرجال جميعا سواء في سنة الجماعة.

والذي أراه إن المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته، فإذا احتاج الرجل والأولاد إلى إعداد طعام أو تهيئة راحة، ظلت في بيتها ولم يجز لها الذهاب إلى المسجد، وترك البيت مهملا ضائعا، ولها ثواب الجماعة التي تخلفت عنها لعذر شرعي.

أما إذا قامت بأمانات البيت كلها، فالأفضل لها أن تلحق بالمسجد، وتشارك في الجماعة، وليس للرجل أن يمنعها، كما جاء في الحديث قال ﷺ: **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"** [٣]. إن إلغاء الوجود النسائي في المساجد محو لسنة عرفها عصر النبوة، والخلافة الراشدة، ولسنا أولى بالله من سلفنا الصالح)[٤]. ❁❁❁

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٩٠٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٦٧٩) اسناده صحيح، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٤٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٤) الحق المر، الشيخ محمد الغزالي، صـ١٢٤-١٢٥. ط/ دار الشروق الثالثة سنة ١٤١٤هـ سنه١٩٩٣.

١٢ - الآذان بين الاتباع والابتداع:

الآذان: هو الإعلام بدخول وقف الصلاة بألفاظ مخصوصة.

وهو دعوة لحضور صلاة الجماعة، وإظهار شعيرة من شعائر الإسلام المفروضة، وإعلام الناس بوقتها، ونداؤهم للحضور لآدائها.

والآذان شعيرة من شعائر الإسلام السامية، يخرج من فم المسلم فيدوى في الآفاق، ليعلم المسلمون في كل مكان، أن وقت الصلاة قد حان، فيتركون أعمالهم ومشاغلهم، ويتوجهون إلى بيت الله؛ لطهارة الأرواح والنفوس والقلوب، والجوارح والأعضاء. والآذان دعوة من الله إلى الناس؛ ليغفر لهم الذنوب؛ وينجيهم من أليم عذابه، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

والآذان ألفاظه تشمل مسائل العقيدة الإسلامية، من وجود الله وتوحيده، ونفي الشريك لله، وإثبات رسالة محمد ﷺ والدخول في الطاعة، التي تؤدى إلى الفلاح في العاجل والآجل.

وشرع في السنة الأولى من الهجرة، وفي سبب مشروعيته عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس ليضرب به الناس في الجمع للصلاة طاف بي وأنا نائم...

(١) سورة الأحقاف الآية (٣١).

وشعيرة الآذان تبين استقلال الأمة في هويتها، وتشريعاتها، وإعلامها، فهي لا تتبع في ذلك شرقا أو غربا، وإنما تتبع رب المشارق والمغارب.

❁❁❁

مشروعية الآذان:

الآذان مشروع بالقرآن والسنة والإجماع: أما القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ [١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗا ﴾[٢].

وأما السنة فما رواه ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"ليؤذن لكم خياركم، وليؤمكم قراؤكم"**[٣].

وقد أجمع الصحابة على مشروعية الآذان، ولا يزال شعيرة مستمرة حتى الآن، للإعلان عن مواقيت الصلاة في العالم الإسلامي وغيره.

قال الشيخ محمود خطاب السبكي: (والآذان سنة مؤكدة على سبيل الكفاية، حتى في حق الرجل ولو منفردا أو مسافرا، للفرائض أداءً وقضاءً)[٤].

وفي الحديث عن أبى الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ما من ثلاثة في خربة، فلا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان"**[٥].

---

(١) سورة الجمعة الآية (٩).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في تهذيب الكمال ٥١٧/٤ حديث منكر، عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٤) الدين الخالص ٤٨/٢.

(٥) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٧٤٨) وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد، عن أبي الدرداء ﷺ.

والآذان من أجل الطاعات، التي ينبغي أن يتنافس عليها المتنافسون، وقد قال ﷺ في فضل المؤذنين ورفعة مكانتهم ومنزلتهم عند الله يوم القيامة:

"المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة"(١).

وفي الحديث أيضا عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: **"المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس"**(٢).

❁❁❁

تاريخ تشريعه وحكمته:

حينما شرعت الصلاة في العصر النبوي المبارك، أراد النبي ﷺ أن يشاور الصحابة في الكيفية التي يعلنون بها عن وقت الصلاة إذا حان، فاقترح أحدهم أن يتخذوا بوقا مثل بوق اليهود، واقترح آخر أن يتخذوا جرسا مثل جرس النصارى، واقترح ثالث أن يشعلوا نارا مثل نار المجوس.

ورفض النبي ﷺ هذه الاقتراحات لما فيها من التقليد لليهود والنصارى وغيرهم، ولتستقل الأمة الأخيرة الخاتمة بتشريع جديد، يكشف عن تميزها في كل شيء عما سبقها، حتى في إعلامها عن وقت صلاتها.

فالأمة الإسلامية أمة صاحبة رسالة عالمية وأمة خاتمة للأمم السابقة قبلها، فلابد لتشريعاتها أن تكون لها صفة التميز، والاستقلال، والخلود، والبقاء.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٨٧) عن معاوية ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥١٥) حديث حسن صحيح، عن أبى هريرة ﷺ.

ولقد انشغل الصحابة بالقضية فاستولت على تفكيرهم؛ حتى أصبحت محل اهتمامهم بالليل والنهار، ومن ظلمة الليل يأتي شعاع النور؛ ليضيء للسالكين درب الحياة، خاصة إذا حسنت النية، وسمت المقاصد.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات، وليس ينادى بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة؟ قال رسول الله ﷺ: **"يا بلال قم فناد بالصلاة"**[1].

ومنذ ذلك الوقت، أصبح الآذان صوت الحق المشرق المعتمد؛ للإعلان عن وقت الصلاة حتى يومنا هذا، وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة.

ولما كانت العبادات مبنية على الاتباع، لا دخل لأراء الرجال واجتهاداتهم فيها، وضع النبي ﷺ صيغة معينة للأذان، غير قابلة للزيادة أو الحذف، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾[2].

وقال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**. أو: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**[3].

فالزيادة على الآذان اتهام له بالنقص، والحذف منه اتهام له بالزيادة، وكلا الأمرين مرفوض ومردود، وقد قال الله تعالى للأمة المسلمة في كتابه الكريم في

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٤) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) سورة الأعراف الآية (٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﷺ.

أواخر ما نزل من أي القرآن الكريم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

❁❁❁

الصيغ الواردة:

وللآذان ثلاث كيفيات ثابتة بالروايات الصحيحة، أشهرها رواية أبى محذورة، وهي تربيع التكبير الأول، وتثنية باقي الآذان مع الترجيع للشهادتين، تقول: "الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله "تسر بها بصوت منخفض، ثم تجهر بهما بعد ذلك" حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، فإن كانت صلاة الصبح قلت: "الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم" الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله"[2].

ويسن للمؤذن التثويب، وهو أن يقول في آذان الفجر أو الصبح بعد الحيعلتين (الصلاةُ خَيرٌ منَ النومِ، الصلاةُ خَيرٌ منَ النومِ، في الأُولى منَ الصبْحِ)([3]). فهي مشروعة في صلاة الصبح، وفي غيرها فغير جائز.

واختار هذه الكيفية الإمام الشافعي والإمام أحمد وكثيرون، وهي في مسند أحمد وأبى داود والبيهقي والنسائي.

---

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام النسائي (٦٣٣) حديث صحيح، عن أبى محذورة سمرة بن معير ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٠١) صحيح بطرقه عن أبي محذورةﷺ .

ويشترط في الآذان: (أن يكون باللغة العربية، ومرتبةً كلماته كما جاءت بها السنة، مواليا بينها، مرفوعةً بها الصوت، ودخول وقت الصلاة، وأن يكون الآذان من شخص مكلف ذكرا، ويصح أذان الصبي والعبد)[1].

وليس على النساء أذان ولا إقامة، وإذا فعلن فلا بأس وورد أن عائشة: (كانت تؤذن وتقيم، وتؤم النساء، وتقف وسطهن) ([2]).

على أن لا يكون آذان المرأة وإمامتها بحضرة الرجال الأجانب؛ وإلا فلا تفعل ذلك.

❁❁❁

سنن الآذان والإقامة:

يسن في الآذان والإقامة: (أن يكون المؤذن رجلا، صالحا، ثقة، طاهرا من الحدثين الأصغر، والأكبر، وأن يكون قائما على مرتفع، إن احتيج إليه كمئذنة، أو سطح مسجد مثلا، لأن ذلك أبلغ في الإسماع، ومكبرات الصوت تحقق ذلك الآن، وأن يلتفت عن يمينه في حي على الصلاة، ويلتفت عن يساره في حي على الفلاح، وأن يضع طرف أصبعيه في أذنيه حال الآذان.

(١) انظر الدين الخالص الشيخ محمود خطاب السبكي ٥٤/٢ باختصار وتصرف.

(٢) الحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى، وغيره.

وأن يكون الآذان في أول الوقت، وأن يتأنى في أدائه، بأن يفصل بين كل كلمتين بسكته، ويستحب لمن يسمع الآذان أن يقول كما يقول المؤذن، إلا في الحيعلتين فيقول بدلا منها: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ويستحب لمن سمع الآذان أيضا أن يقول عقبه: **"اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته"**(١).

ويستحب الموالاة بين كلمات الآذان بأن لا يفصل بين كلماته بكلام أجنبي(٢).

وفي الحديث قال ﷺ: **"من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا.، غفر له ذنبه"** (٣).

ويستحب الدعاء بين الآذان والإقامة، حيث إنه وقت يرجى قبول الدعاء فيه، وفي الحديث قال ﷺ: **"الدعاءُ لا يُرَدُّ بين الآذان والإقامةِ. قالوا: فماذا نقولُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: سَلُوا اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ"** (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر الدين الخالص الشيخ محمود خطاب السبكي ٢/٦٧-٦٨ باختصار وتصرف.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٨٦) عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٥٩٤) حديث حسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويستحب للمؤذن أن يبتغي بآذانه وجه الله فلا يأخذ عليه أجرا. وفي الحديث أن صحابيا قال للنبي ﷺ: اجعلني إمامَ قومي قال: **"أنت إمامُهم واقتدِ بأضعفِهم واتخذْ مؤذِّنًا لا يأخذُ على أذانِه أجرًا)**(١).

وأن يكون قائما مستقبل القبلة كما كان حال الصحابة في آذانهم على عهد رسول الله ﷺ.

وأن يرفع صوته بالآذان حتى ولو كان منفردا في صحراء وفي الحديث: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ قالَ له النبي ﷺ: **"إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فأَذَّنْتَ بالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فإِنَّهُ: لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ ولَا إِنْسٌ ولَا شيءٌ، إِلَّا شَهِدَ له يَومَ القِيَامَةِ"**(٢).

وأن يترسل في الآذان أي يتمهل فيفصل بين كل كلمتين بسكته، بينما يحدر في الإقامة.

ويفضل الفصل بين الآذان والإقامة بوقت يسمح للسامعين حضور الصلاة، أو التنقل، ولا يوجد حد معين للوقت، وهذا متروك للمصلحة العامة في كل مسجد حسبما يرى الإمام.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٣١) حديث صحيح، عن عثمان بن أبي العاص الثقفيﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٩) عن أبو سعيد الخدري ﷺ .

ويفضل لمن رفع الآذان أن يتولى الإقامة، وإذا أقام غيره فلا بأس بأمر الإمام، أو إذن من المؤذن. ولا يجوز أن يؤذن غير المؤذن الراتب إلا بإذنه، أو عند غيابه، فخاف خروج الوقت.

ويقوم الناس للصلاة حينما يسمعون قول المؤذن في الإقامة (قد قامت الصلاة) وهو متروك لطاقة الناس فإن منهم الثقيل والخفيف.

ويكره الخروج من المسجد بعد الآذان إلا للضرورة أو لعذر ضروري قاهر، وفي الحديث أنّ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَأَى رَجُلًا يَجْتَازُ المَسْجِدَ خَارِجًا بَعْدَ الآذان، فَقالَ: (أَمَّا هذا فقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ) (١).

قال النووي على شرح الحديث السابق: (فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الآذان حتى يصلي المكتوبة إلا لعذر)(٢).

ويجوز لمن نام عن صلاة أو نسيها، أن يؤذن لها ويقيم حينما يريد صلاتها، بصوت لا يشوش على الناس، ولا يلبس عليهم.

وإذا كان ما ورد سابقا السنة المأثورة عنه ﷺ، فما المخالفات التي لحقت بالآذان فأخرجته عن نقائه، حتى يحذرها المسلمون، ويتبعوا هدي النبي ﷺ؟.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٥) عن أبي هريرة ﷺ .
(٢) النووي على شرح مسلم ٥/٢٨٩.

المخالفات في الآذان، أو التي لحقت به:

١- التلحين والتطريب في الآذان:

معلوم أن الآذان من العبادات، وهي مبنية على الاتباع، وعليه فيجب الالتزام بالصيغة والطريقة المأثورة عنه ﷺ في أدائه، فتراعى فيه قواعد التجويد المعروفة، فلا يمد حرفا أكثر من حقه الذي يستحقه، ولا يشغل المؤذن حُسن الصوت ليطرب الناس، دون مراعاة الحكم؛ ليتغنى بالآذان ويخرجه عن ضوابطه المطلوبة.

يقول الشيخ محمود خطاب السبكي-رحمه الله-في بدع الآذان: (فالآذان يؤد بالتغني والتمطيط والتلحين... وإخراج كلمات الآذان عن وضعها العربي، وكيفيتها الشرعية، ... ويقال في الإقامة مثل ما قيل في الآذان) (١).

ويقول الإمام الزركشي-رحمه الله-: (ليتحرز من أغلاط يستعملها المؤذنون:

أحدها: مد الهمزة من أشهد فيخرج من الخبر إلى الاستفهام.

ثانيها: مد الباء من أكبر فينقلب المعنى إلى جمع كبر وهو الطبل.

ثالثها: الوقوف على إله ويبتدئ إلا الله، فربما يؤدى إلى الكفر.

رابعها: إدغام الدال من محمد في الراء من رسول، وهو لحن خفي عند القراء.

خامسها: أن (لا) ينطق بالهاء من الصلاة فيصير دعاءً إلى النار.

سادسها: أن يفتح الراء في أكبر الأولى، أو يفتحها ويسكن الثانية.

---

(١) الدين الخالص، الشيخ/ محمود خطاب السبكي ٣١١/٩.

سابعها: مد الألف من اسم الله، ومن الصلاة والفلاح، فإن مده مدا زائدا على ما تكلمت به العرب لحن، قال أبو الفتح عبد الواحد بن الحسين المغربي: الزيادة في حرف المد واللين على مقدارها لكنه خطأ.

ثامنها: قلب الألف هاء من الله) [١].

وقد قيل: إن سيدنا عمر بن الخطاب سمع رجلا يطرب في أذانه فقال: (يا هذا إن الآذان سهل سمح، فإن كنت كذلك وإلا عزلناك).

وبالنسبة لرفع الصوت بالتبليغ خلف الإمام يقول الشيخ السبكي: (والتبليغ عند عدم الحاجة إليه بأن بلغ المأمومين صوت الإمام، وهو بدعة منكرة، وعند الاحتياج يستحب.

وصرح العلماء أنه يكره للمبلغ الزيادة في الإعلام على قدر الحاجة، والآن المذياع-مكبر الصوت-موجود بالحرمين الشريفين، وسائر المساجد، فلا داعي للتبليغ، سيما إذا لاحظنا أن المبلغ يتغنى بألفاظ التكبير والتسميع، بشكل يؤدى إلى بطلان صلاته، ومن المبلغين من يضع يده على خده كالمتغني وهذه حالة لا يقره عليها أحد) [٢].

❁❁❁

(١) إعلام الساجد صـ ٣٦٨.

(٢) الدين الخالص ٣١١/٩.

٢- تسويد النبي ﷺ في الآذان:

إن كلمات الآذان معدودة، لا يزاد عليها ولا ينقص منها، وتسويد النبي ﷺ في الآذان زيادة على كلمات الآذان، والنبي ﷺ حينما علم أبا محذورة الآذان لم يسود نفسه، وحينما كان يسمعه من الصحابة لم يكن فيه لفظ التسويد، وعليه، فالسنة ترك التسويد في الآذان، ومن فعل ذلك عد ابتداعا في الدين، ومخالفة لهديه ﷺ إذ إنها زيادة دون دليل شرعي يعتمد عليه عن العلماء.

❁❁❁

٣-الصلاة على النبي ﷺ بعد الآذان بصوت مرتفع:

الآذان عبادة، والعبادات توقيفية، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، حيث إن الزيادة بدعة، كما هو معلوم من الحديث. قال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** (١).

والجهر بها بصوت مرتفع، عقب صيغة الآذان مباشرة لم يرد في السنة، وهو عمل غير مشروع، ويعد بدعة إضافية، أما المشروع فهو الصلاة على النبي ﷺ عقب الآذان سرا، من المؤذن والمستمعين. وفي الحديث قال ﷺ: **"إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة"** (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٨٤) عن عمرو بن العاص ﵁.

وخطورة الجهر بالصلاة على النبي ﷺ هنا، أن يعتقد بعض الناس بعد فترة طويلة من المداومة على أدائها، أنها جزء من الآذان، وإذا لم يرفع المؤذن صوته بها يصبح الآذان ناقصا، ومن ثم وقف الفقهاء أمام هذه الطريقة، سدا لأبواب البدعة، وحرصا على اتباع السنة، والمداومة عليها.

❁❁❁

٤-الآذان والإقامة لصلاة العيدين:

من الجدير بالذكر أن صلاة العيدين ليس لها أذان أو إقامة، وهذا ما يعرف بالسنة التركية، التي يعرفها العلماء بأنها: (ما تركه النبي ﷺ مع وجود الداعي والمقتضى ولم يكن هناك منه مانع).

بمعنى أن هناك صلاة عيد، ومعلوم أن الصلاة لها أذان وإقامة، وثبت أن النبي ﷺ ترك الآذان والإقامة هنا، ولم يكن هناك ما يمنع من ذلك، وعليه فتركه للأذان والإقامة لصلاة العيدين إنما هو السنة المأثورة التي يجب اتباعها، والمعروفة بالسنة التركية.

فإذا رأينا بعض الناس الآن يؤذنون لصلاة العيد، أو يقيمون الصلاة، فيعد ذلك مخالفة لهديه ﷺ وبدعة إضافية، فلا أذان لصلاة العيدين، لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول: "صليت مع النبي ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة"[1].

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٨٧) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

٥-تعدد الآذان لصلاة الجمعة حاليا، إلا للضرورة:

إن عمل النبي ﷺ هو السنة التي يجب الالتزام بها والحرص عليها، لأنه دين وشرع، وقد كان لصلاة الجمعة في عصر النبي ﷺ أذان واحد، يرفع بعد أن يصعد النبي ﷺ على المنبر، فإذا ما انتهى المؤذن، قام النبي ﷺ ليخطب في المسلمين.

وظل الأمر كذلك على عهد أبى بكر وعمر-رضي الله عنهما- إلى أن جاء سيدنا عثمان، وكثر المسلمون في المدينة، واتسعت رقعتها، ولم يعد الناس يسمعون آذان الجمعة، فأرسل سيدنا عثمان من يرفع آذانا قبل الجمعة، في مكان يسمى (الروحاء) لإعلام الناس باقتراب وقت الصلاة، فيتركون أعمالهم، ويتهيئون لحضور خطبة الجمعة والصلاة.

واستمر الأمر على هذا النحو فترة من الزمن، ولما ظهرت الوسائل الحديثة التي تعلن الناس بمواقيت الصلاة بسهولة ويسر، مثل مكبرات الصوت، والمذياع، والتلفاز، والساعة، والنتائج أو التقويم، فلا حاجة أو ضرورة إذا لهذا الآذان الثاني.

وينبغي الاكتفاء بالآذان الأول، الذي كان على عهد النبي ﷺ فإذا كان الآذان الثاني قد فرضته الضرورة، فقد زالت هذه الضرورة الآن، وعليه فينبغي تركه، والاكتفاء بآذان واحد، وهو الذي كان عليه النبي ﷺ وصاحبيه، وإذا وجدت الضرورة مرة ثانية، عاد الناس إلى الآذان الثاني مرة أخرى. والله أعلم.

❁❁❁

١٣ - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في المسجد:

إن مكانة النبي ﷺ تتجدد دائما وأبدا في قلوبنا وأرواحنا ونفوسنا وعقولنا؛ لأنه أحيا أمة من موات، وأيقظها من غفلة، وأفاقها من سكرة، فكان نورا يضئ الطريق للسائرين، بما يرسل من أشعته الهادية، وأنواره الكاشفة، وكلماته المضيئة، فيحول الظلام نورا، واليأس أملا، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

ومع قدوم شهر ربيع الأول من كل عام، يتسابق كثير من المسلمين إلى الاحتفال بمولده ﷺ في صور شتى، منها تعليق الزينة، وصناعة الحلوى، ورفع الأعلام والبيارق، ودق الطبول والمعازف، والسير في موكب طويل يطوف بالقرى والمدن، يضم خليطا من الرجال والنساء والأطفال، وأصبح هذا الأمر مألوفا لدى العوام.

وهنا سؤال يطرح نفسه، ما موقف الشرع من الاحتفال بالمولد النبوي بهذه الصور السابقة؟. انقسم العلماء إلى فريقين تجاه الاحتفال بمولده ﷺ بهذه الصور السابقة.

الفريق الأول: يرى أن الاحتفال بدعة، وأدلته في ذلك ما يأتي:

إنه عمل لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين ولا عن السلف الصالح، الذين هم خير القرون، ومن ثم فهو عمل غير مشروع، لأنه يفعل كعبادة وقربى إلى الله ﷻ دون دليل شرعي يسمح بذلك.

---

(١) سورة المائدة الآيتان (١٥-١٦).

إن ما يشتمل عليه الاحتفال من الصدقات وأعمال البر في جمع الناس على الطعام، فهذا عمل مشروع في العيدين، وأيام التشريق، وليالي رمضان، ولم يرد نص بإضافة المولد إليها.

إن ما يشتمل عليه الاحتفال من قراءة القرآن ومدارسة العلم، فذلك من القربات إذا أقيم على الوجه الشرعي المطلوب، دون تخصيص ذلك بمناسبة المولد، وفي يوم ثابت، ومعين كل عام.

إن ما يشتمل عليه الاحتفال من بعض المفاسد الظاهرة، مثل انتهاك حرمات المساجد، والاختلاط الذي يؤدى إلى المزاحمة، والتبرج الصارخ من النساء، واستعمال الأغاني، وأدوات اللهو والطرب، وشرب الدخان في مجالس القرآن والذكر، وإقامة حلقات الذكر المحرف، مع التمايل والرقص بالمسجد، بالإضافة إلى الإفراط في السهر إلى ما بعد منتصف الليل.

فاختلاط هذه الأمور-التي يصل بعضها إلى التحريم- بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، دفع هذا الفريق إلى عدم جواز الاحتفال بهذه الصورة، وأن ذلك لون من البدع التي يجب إنكارها.

أما الفريق الثاني: وهم القائلون بجواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، مع بعض الضوابط والشروط الهامة، فقد ردوا على الفريق الأول بما يأتي:

١-نعم لم يرد نص عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن السلف الصالح بالاحتفال بمولده، وأيضا لم يرد نص عنهم جميعا بالمنع، ومن ثم فهو أمر متروك

للمصلحة المترتبة على ذلك، خاصة إذا اعتبرنا أن الاحتفال يقصد به التذكير بالسيرة العطرة، وأخلاقه العظيمة، وغزواته وانتصاراته، والناس يجهلون من السيرة أكثر مما يعرفون، والقرآن الكريم أشار إلى التذكير في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[3].

٢-وأما ما يشتمل عليه الاحتفال من ألوان العبادة، مثل قراءة القرآن ومدارسة العلم، وتعظيم النبي ﷺ والثناء عليه، وإطعام الفقراء، والتصدق على المساكين، فكلها أمور مندوبة ومستحبة، وغير مرتبطة بأيام معينة من العام.

وأما ما يقع في الاحتفال بالمولد من المفاسد المحرمة، مثل انتهاك حرمات المساجد، والاختلاط، والفسوق، والتبرج، واستخدام الغناء، وأدوات اللهو والطرب، وشرب الدخان، وغير ذلك من المحرمات أثناء قراءة القرآن الكريم، أو إقامة حلقات الذكر بصورة غير مشروعة، فلا شك أن هذه أمور محرمة، لا نقر من يفعلها، بل إن هذه المعاصي يجب محاربتها عموما، وإضافتها إلى الاحتفال بالمولد لا

(١) سورة الذاريات الآية (٥٥).
(٢) سورة المائدة الآية (١١).
(٣) سورة الأحزاب الآية (٩).

يضفي عليها الشرعية أو القبول، ومن ثم فهم يرفضون الاحتفال بالمولد إذا ضم هذه المفاسد المحرمة.

وهناك قول ثالث يجمع بين القولين السابقين، يقول الشيخ محمد مصطفي المراغي-شيخ الأزهر سابقا-:

(وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة، وأن لا تكون بدعة، مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إذا فعلت هذه الأشياء على أنها عبادة وتدين، كانت بدعة، لأنها إحداث عبادة لم تكن .....

أما إذا فعلت على سبيل العادة، وعلى أن الاحتفال بالمولد إحياء لذكريات عزيزة كانت سببا للخير، وموجبة للشكر، لتنبعث نفس المؤدى لها إلى التمسك بالهدى، وبالخلق الكريم، لم تكن بدعة، لأنه لم يقصد بها التدين، ولم يرد إحداث شيء في الدين.

لكن إذا حفت هذه المحدثات – التي ليست بدعة-بما هو بدعة، وبما هو مخالف للشريعة، حرمت لما هو ملابس لها من البدع، ولما هو ملابس لها من المعاصي)[1].

وبمناسبة حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ وما يصحبه من جدل، كلما حلت بنا هذه الذكرى العطرة في كل عام، نذكر الجميع - مؤيدين ومعارضين - بضرورة التزام بروح الإسلام، والسماحة في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة،

(١) ليس من الإسلام الشيخ محمد الغزالي صـ٢٥٢. ط/ مكتبة وهبة ط/ السادسة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

والتسامح الفكري، وتلمس الموضوعية والنزاهة، في عرض الأدلة ومناقشتها، ووجهات النظر في أدلة كل فريق.

وأسوق إلى الجميع هذا النص للإمام ابن تيمية -رحمه الله- الذي أراه معبرا عما قصدت إليه. حيث يقول في كتابه، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: (وكثير من المنكرين لبدع العبادات والعادات تجدهم مقصرين في فعل السنن من ذلك، أو الأمر به، ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهة .

بل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا ينهى عن منكر إلا ويؤمر بمعروف يغني عنه، كما يؤمر بعبادة الله ﷻ وينهى عن عبادة ما سواه، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله إلا الله، والنفوس خلقت لتعمل، لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح، وإلا لم يترك العلم السيئ، أو الناقص، لكن لما كان من الأعمال السيئة ما يفسد عليها العمل الصالح، نهيت عنه حفظًا للعمل الصالح.

فتعظيم المولد، واتخاذه موسمًا، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ كما قدمته لك، أنه يحسن من بعض الناس، ما يستقبح من المؤمن المسدد.

ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار، أو نحو ذلك فقال: دعهم، فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب، أو كما قال. مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة.

وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط، وليس مقصود أحمد هذا، إنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضًا مفسدة كره لأجلها. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا، وإلا اعتاضوا بفساد لا صلاح فيه، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور: من كتب الأسمار أو الأشعار، أو حكمة فارس والروم.

فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية، والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف، وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل، يتيسر كثيرًا. فأما مراتب المعروف والمنكر، ومراتب الدليل، بحيث يقدم عند التزاحم أعرف المعروفين وينكر أنكر المنكرين، ويرجح أقوى الدليلين، فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين.

فالمراتب ثلاث: أحدها: العمل الصالح المشروع الذي لا كراهة فيه. والثانية العمل الصالح من بعض وجوهه، أو أكثرها إما لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع.

والثالثة ما ليس فيه صلاح أصلًا: إما لكونه تركا للعمل الصالح مطلقًا، أو لكونه عملًا فاسدًا محضًا)([1]).

ومن خلال عرض ما سبق، أجدني أميل إلى أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف على أنه أمر من أمور الدين لم يرد نصوص صريحة تبين جواز ذلك.

لكن العلماء والدعاة إذا استغلوا شهر مولده في صورة مجلس علم، في مسجد ما، مع المحافظة على أدبه ووقاره، دون الارتباط بيوم معين ثابت كل عام، وقام أحد العلماء أو بعضهم، بتذكير المسلمين بواجباتهم نحو النبي ﷺ فلا مانع في ذلك، مع ضرورة تذكير العلماء للمسلمين في هذه المناسبة بما يأتي:-

١-التأسي به ﷺ والاقتداء بأفعاله، واتباع سنته، والتمسك بهديه، والتخلق بأخلاقه ﷺ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3].

٢-أن يملأ المسلم قلبه بحب الرسول ﷺ لأن ذلك من كمال الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة، وأكثر الناس حبا للنبي ﷺ على الإطلاق هم أصحابه الكرام،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية: تحقيق/ ناصر عبد الكريم العقل جـ٢صـ١٢٦-١٢٧الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).

(٣) سورة القلم الآية (٤).

الذين عاشوا معه، وتربوا على يده، وسمعوا منه القرآن غضا طريا وقت نزوله مباشرة من عند الله.

وفي الحديث قال ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين"**(١).

وفي الحديث أيضا: **"أنَّ رجُلًا قال: يا رسولَ الله، الرَّجُلُ يُحِبُّ القَومَ ولم يَلْحَقْ عمَلَهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: المَرءُ مع مَن أَحَبَّ. قال حسَنٌ: أعمالَهم. قال: المَرءُ مع مَن أَحَبَّ. قال ثابتٌ: فكان أنسٌ إذا حَدَّثَ بهذا الحديثِ قال: اللَّهمَّ فإنَّا نُحِبُّك، ونُحِبُّ رسولَك"**(٢).

حب النبي عزة وجاه ∴ وشرعه تعلو به الجباه

فالله قد صفاه واصطفاه ∴ لسنا نرى إلا الذي يراه.

٣- أن يكثر المسلم من الصلاة والتسليم عليه ﷺ لما في ذلك من الثواب العظيم، والمؤانسة له ﷺ في قبره، وفي صحيح مسلم: **"من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشرا"** (٣).

وفي سنن أبى داود أن النبي ﷺ قال: **"من صلى على، رد الله على روحي، فأراد عليه السلام"**(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥١٢٧) إسناده صحيح على شرط مسلم، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٠٨) عن أبى هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٠٤١) إسناده صحيح، عن أبى هريرة ﷺ.

وفي يوم ما صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقى عتبة قال آمين، ثم رقى أخرى فقال آمين، ثم رقى عتبة ثالثة فقال آمين، ثم قال: **"أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد: من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت آمين، قال ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله، فقلت آمين، قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله، فقلت آمين"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"أكثِروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمعةِ ؛ فإنَّه ليسَ يُصلِّي عليَّ أحدٌ يومَ الجمُعةِ إلَّا عُرِضتْ عليَّ صلاتُهُ"**(٢).

وفي الحديث قال ﷺ: **"أَكْثِرُوا الصلاةَ عليَّ، فإنَّ اللهَ وكَّلَ بي ملَكًا عند قبري، فإذا صلَّى عليَّ رجلٌ من أُمَّتِي قال لي ذلك المَلَكُ: يا محمدُ إنَّ فلانَ بنَ فلانٍ صلَّى عليك الساعةَ"**(٣).

ومما سبق يتبين أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، هو من الأمور التي لم يرد فيها نص بالفعل أو الترك، وينظر في ذلك إلى المفاسد والمصالح التي تترتب على طريقة الاحتفال، فهي التي تحدد مدى قبوله من رفضه. والله تعالى أعلم.

❁❁❁

(١) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١١٤/٢ إسناده صحيح أو حسن، عن جد الحسن بن مالك بن الحويرث ﷺ.

(٢) الحديث أورده الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٨) وقال صحيح عن أبي مسعود عقبة بن عمرو ﷺ.

(٣) الحديث أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٠) وقال حسن لشواهده، عن أبي بكر الصديق ﷺ.

(١٢) إمام المسجد ورسالته.

الإمامة لها شأن عظيم، ومنزلة كبيرة في الإسلام، وهي مسؤولية وأمانة أمام الله، قبل أن تكون رسالة ووظيفة أمام الناس، فالإمام يقف بمفرده في صف مستقل، والمأمون في صفوف خلفه، هو يتقدمهم ويقودهم إلى الله ﷻ ويقف في موقف وقف فيه النبي ﷺ مع الصحابة، فعمل الإمام له هيبته ومكانته ومنزلته.

وإمام المسجد هو قطب الرحى الذي يقوم على أداء أنشطة المسجد وتفعيلها، فإذا كان الإمام معدا إعدادا جيداً كان أداؤه عطاءً متميزا، فقوة الأنشطة وضعفها يعود إلى إمام المسجد والإدارة.

والإمام هو عماد المسجد وقوته، ونبراسه المنير، وقاطرة المأمومين، فإذا قوى الإمام في علمه وأخلاقه، حقق رسالته في أحسن صورة، وكان أثره في رواد مسجده لا ينسى من الذاكرة طوال حياتهم.

والإمام سُمى بهذا الاسم؛ لأنه يؤتم ويقتدى به، ويهتدي الناسُ بفعله وقوله، فمهمته قيادة الناس إلى الخير والبر والصلاح، قال الشيخ على محفوظ: (ففي صدر الإسلام كان النبي ﷺ هو الإمام والخطيب، ثم خلفاؤه الراشدون، ثم الأمراء والقادة والعلماء والأعلام، وهذا يدل على أنه يجب أن يكون متولي هذه الوظيفة في المنزلة العالية من الدين، والخلق، والعلم، والسلوك) [١].

(١) الخطابة، الشيخ علي محفوظ، صـ٢١.

ولقد دعا النبي ﷺ لإمام المسجد بالرشد، لما لـدوره الفعـال في حيـاة المسـلمين، ففي الحديث قال ﷺ: **"الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم ارشـد الأئمـة، واغفـر للمؤذنين"** (١).

فرسالة الإمام تنبع من الدور الذي يقوم به، في تعليم الناس وإرشـادهم بـالعلم النافع في أمور دينهم وآخرتهم.

والإمام موضوع قدوة من الناس، لانهم يأتمون به، ويهتدون بهديه، لذلك يسمى إماما، ومن يتبعه يسمى مأموما. ومن أدعية القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾(٢).

قال عبد الرحمن بن مهدي: (كنا نأتي الرجل ما نريـد علمـه، لـيس إلا أن نـتعلم من هديه وسمته ودله، وكان على بن المديني، وغير واحد يحضرـون عنـد يحيـى بـن سعيد القطان، ما يريدون أن يسمعوا شيئا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته) (٣).

وهناك عدة شروط عامة ينبغي أن يتوفر الحد الأدنى منها في إمام المسـجد، منهـا ما هو فقهي، ومنها ما هو علمي، ومنها ما هو أخلاقي وسلوكي.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥١٧) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦٧٢) عن أبى هريرة ﷺ.
(٢) سورة الفرقان الآية (٧٤).
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعيـة، محمد بـن مفلـح المقدسـي١٤٥/٢ تحقيـق شـعيب أرنـاؤوط، وعمـر الخيام، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت، سنه ١٤١٧، سنة١٩٩٦م.

فيشترط في الإمام عدة شروط منها:

١- **التكليف وهو الإسلام والبلوغ والعقل**، فمن لم يكن مكلفا فلا تجوز إمامته. بينما يجوز إمامة الصبي المميز.

٢- **الذكورية فلا يصح أن تؤم المرأة الرجال**، وإن كانت تصح إمامة المرأة للمرأة، لكن الحديث هنا عن إمام المسجد بصفة عامة.

٣- **الإعداد العلمي بأن يكون مؤهلا**، حافظا للقرآن الكريم كله، أو أغلبه، صحيح التلاوة، دارسا لأحكام التجويد، ويحسن تطبيقه، ذا صوت حسن، دارسا للعلوم الشرعية، من التفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة، والخطابة، والدعوة، واللغة العربية، ومطلعا على الثقافة الإسلامية والعربية والواقعية.

٤- **حس المظهر والهيئة في اللبس والهندام**، مترجلا لشعره، يلبس العمامة أو القلنسوة أو غطاء الرأس، تعلوه الهيبة والوقار، كما هو معلوم عند أئمة الدين والعلم.

٥- **أن يتحلى بأخلاق الإسلام وآدابه**، في كل شئون حياته، وأن يكون صورة عملية حية لما يدعو إليه من فضائل ومثاليات.

ووظيفة الإمامة تقوم على الاصطفاء والانتقاء، فليس كل أحد يصلح لها، وفي الحديث قال ﷺ: **"يَؤُمُّ القومَ أقراؤهم لكتابِ اللهِ، فإن كانوا في القراءةِ سواءً، فأعلمُهم بالسُّنَّةِ، فإن كانوا في السُّنَّةِ سواءً، فأقدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرةِ**

سواءً، فأقدمُهم سِلْمًا، ولا يَؤُمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانِه، ولا يقعدُ في بيتِه على تَكرِمتِه إلا بإذنِه" (١).

فأحق الناس بالإمامة على هذا الترتيب السابق في الحديث، الأقرأ، ثم الأعلم، ثم الأقدم هجرة ثم الأقدم إسلاما، وهكذا...

وعن عبد الله بن عمر قال: (لَمَّا قَدِمَ المهاجِرونَ الأوَّلونَ العُصْبَةَ، موضِعٌ بِقُبَاءٍ، قَبْلَ مَقْدِمِ رسولِ اللهِ ﷺ كانَ يؤُمُّهُم سالمٌ، مولَى أبي حذيفَةَ، وكانَ أكثرَهُم قرآنًا)(٢).

والفقهاء مختلفون في أولى الناس بالإمامة (بين القراءة، والفقه، فقيل القارئ، وقيل أفضلهم وخيرهم، ثم أقرؤهم، ثم أسنهم، وقيل: الأفقه إذا كان يقرأ ما يكفي في الصلاة، وقيل الأعلم، إذا كانت حاله حسنة) (٣).

ومما سبق يتبين أن إمام المسجد صاحب رسالة سامية ونبيلة، وعمله من أشرف الأعمال؛ لأنه يقود الناس إلى الله ﷻ فليس كل أحد يصلح لهذه المهمة العظيمة، وهو يحتاج دائما إلى مزيد من العلم والفقه والأخلاق؛ لان عمله يقوم على الاصطفاء والاختيار، فينبغي لمن أسندت إليه هذه المهمة، أن يؤديها على أحسن وجه يرضي الله ﷻ ويقوم بحقها وواجباتها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٤).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٧٣) عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٩٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) التمهيد، لابن عبد البر، ٢٢/١٢٤-١٢٥.

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨).

١- رسالة المسجد في الناحية الدعوية.

المسجد هو ميدان الدعوة الأول، وهو مركز التجمع الذي يجمع بين الداعية والمدعوين، والدعوة تعني: طلب الناس لإقبالهم على الله ﷻ وترغيبهم في ما عنده.

ويمكن ممارسة العمل الدعوي في المسجد من خلال ما يأتي:

١- **إقامة خطب الجمعة**، وتضمينها المواعظ البليغة والمؤثرة، التي تحرك عواطف الناس ومشاعرهم، وتستميلهم إلى التطبيق لما يسمعون، فالخطبة الناجحة: هي التي تهدي القلوب الحائرة، وتقوم النفوس المعوجة، وتزجر أصحاب الذنوب والمعاصي بالإقلاع عنها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[١].

ولا تخلو تذكرة من منفعة لا محالة.

فالمسجد موضع للعبادة، والمركز الأول للإشعاع الروحي، وفي الحديث عن العرباض بن سارية ﷺ قال: "وعظنا رسولُ الله ﷺ يومًا بعد صلاةِ الغداةِ موعظةً بليغةً ذرفَتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوبُ، فقال رجلٌ إنَّ هذه موعظةُ مُودِّعٍ فماذا تعهد إلينا يا رسولَ الله؟ قال: **"أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعةِ وإن عبدٌ حبشيٌّ، فإنه من يعشْ منكم يرَ اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنها ضلالةٌ فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدِين المهديِّين عَضوا عليها بالنواجذِ"** [٢].

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٥).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٧٦) حديث حسن صحيح، عن العرباض بن سارية ﷺ.

قال ابن القيم فيما يتعلق بهدي النبي ﷺ في خطبته: (وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله، والثناء عليه، بآلائه وأوصافه وكماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه، فعلى هذا كان مدار خطبه ﷺ)[١].

٢- **إقامة الدروس اليومية والأسبوعية والمحاضرات والندوات**، التي تدعوا المسلمين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، وثباتاُ على دينهم، فالدعوة تحتاج إلى تكرار وتذكير، وتخول بين الحين والحين، كان عبدُ الله بن مسعود يُذكِّرُنا كلَّ يومِ خميسٍ. فقال له رجلٌ: يا أبا عبدِ الرحمنِ! إنا نحبُّ حديثَك ونشتهيه. ولوددنا أنك حدَّثْتنا كلَّ يومٍ. فقال: ما يمنعني أن أُحدِّثَكم إلا كراهيةَ أن أُمِلَّكم. "إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يتخوَّلُنا بالموعظةِ في الأيامِ، كراهيةَ السآمةِ علينا" [٢].

٣- **إرسال الدعاة من المسجد إلى القرى والمدن**، وأماكن تجمعات الناس؛ لدعوتهم إلى الإسلام إن كانوا غير مسلمين، وتثبيتهم على الإسلام وتعليمهم أحكامه إن كانوا مسلمين، وهذا له أثر كبير حينما تنقل الدعوة إلى محل إقامة المدعو، فإذا ما شعر بصدق اللهجة، والتجرد في النية والعمل، فتكون الاستجابة والقبول.

ولقد فعل النبي ﷺ ذلك مع أهل المدينة حينما دخل بعضهم في الإسلام من خلال بيعة العقبة الأولى، والثانية، فأرسل النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ١/١٨١.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٢١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ليعلمهم الإسلام، ويدعو غيرهم ممن لم يدخل الإسلام، وقد ترك أثرا إيجابيا كبيرا في المدعوين، حتى دخل أهل المدينة كلهم في الإسلام، بسبب صدق اللهجة، وإخلاصه لدعوته، والتضحية في سبيلها، ونقل الدعوة إلى المدعوين.

وكان المسجد تستقبل فيه الوفود القادمة، التي تريد أن تتعرف على الإسلام، وكان مركزا لتخريج الدعاة من الصحابة الذين فتحوا البلاد بأخلاقهم وآدابهم وعدلهم، قبل لقاء سيوفهم وأسلحتهم.

٤- **توفير نسخ من ترجمات معاني القرآن الكريم**، بلغات مختلفة في المسجد، تتناسب مع طبيعة المدعوين من غير المسلمين، وتقديم هذه النسخ هدية لهم، بالإضافة إلى المطويات والكتيبات والمادة المسموعة والمرئية، للتعريف بالإسلام وتعاليمه وأحكامه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾[١].

٥- **عمل جولة دعوية من إمام المسجد**، بالاشتراك مع بعض المصلين، لزيارة غير المصلين من أهل الحي، لدعوتهم إلى حضور صلاة الجماعة، ومجالس العلم، وحلق الذكر، التي تقام في المسجد.

وفي الحديث قال ﷺ لعلي بن أبي طالب حينما أرسله إلى خيبر: **"فو الله لأَن يهديَ اللهُ بك رجلا واحدا، خيرٌ لك من أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ"** [٢].

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٢١٠) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

٦- **عمل قاعة مكتبية ملحقة بالمسجد:** تحتوي على أمهات الكتب في العلوم الشرعية، واللغوية، والثقافة الإسلامية، والثقافة الإنسانية، وتكون مفتوحة لرواد المسجد طوال النهار، لمن يريد القراءة في داخلها، ومزودة بأحدث التقنيات الحديثة، من أجهزة وبرامج الكمبيوتر، التي تسهل الوصول إلى الكتاب والمعلومة.

كما هو الحال في مكتبة المسجد النبوي الشريف، فمن قام بزيارتها ولو مرة واحدة، وجدها صورة جميلة مشرقة، فيما تحتويه من نفائس الكتب، وفيما تقوم به من دور قوي وفعال، لخدمة زوار المسجد النبوي الشريف، من المعتمرين، والحجاج، والباحثين، وطلاب العلوم الشرعية، في المسجد النبوي الشريف، وباقي طلاب الجامعات الأخرى من الداخل والخارج.

❁❁❁

٢- رسالة المسجد في الناحية التعليمية.

المسجد له دور قوي وفعال في الناحية التعليمية للصغار والكبار، والرجال والنساء، فهو يخدم جميع فئات المجتمع، ويقدم لهم العلم والمعرفة قبل وجود المدارس المعاصرة، بصورة مستقلة بأبنيتها، ونظمها الحديثة.

ويظهر أثر المسجد في المجتمع من الناحية التعليمية من خلال هذه النقاط:

١- **يعد المسجد قديما وحديثا مصدرا للعلم والمعرفة**، والتعليم للعلوم الشرعية وغيرها، ففيه تقام خطب الجمعة لتعليم المسلمين شئون دينهم، وفيه الدروس اليومية والأسبوعية والشهرية لتعليم الناس العلوم الشرعية المختلفة، حسب الجدول المعلن عنه في كل مسجد.

فالمسجد كان معهدا ومدرسة للعلم والدراسة، والصحابة كانوا يتلون فيه القرآن ويحفظونه، ويتعلمون فيه الحديث والفقه، وكان عمر بن الخطاب يتناوب مع جار له حضور مجالس العلم في المسجد النبوي، وفى البخاري (باب التناوب في العلم).

بطَيبَةَ رَسمٌ لِلرَسولِ وَمَعهَدُ ∴ مُنيرٌ وَقَد تَعفو الرُسومُ وَتَهمَدِ
وَلا تَنْمَحي الآياتُ مِن دارِ حُرمَةٍ ∴ بِها مِنبَرُ الهادي الَذي كانَ يَصعَدُ
وَواضِحُ آثارٍ وَباقي مَعالِمٍ ∴ وَرَبعٌ لَهُ فيهِ مُصَلّى وَمَسجِدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ يَنزِلُ وَسطَها ∴ مِنَ اللهِ نورٌ يُستَضاءُ وَيوقَدُ
مَعارِفُ لَم تُطمَس عَلى العَهدِ آيُها ∴ أَتاها البِلى فَالآيُ مِنها تُجَدَّدُ

عَرِفتُ بِها رَسمَ الرَسولِ وَعَهدَهُ ∴ وَقَبراً بِها واراهُ في التُربِ مُلحِدُ
ظَلَلتُ بِها أَبكي الرَسولِ فَأَسعَدَت ∴ عُيونٌ وَمِثلاها مِنَ الجِفنِّ تُسعَدُ
تَذَكَّرُ آلاءَ الرَسولِ وَما أَرى ∴ لَها مُحصِياً نَفسي فَنَفسي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قَد شَفَّها فَقدُ أَحمَدٍ ∴ فَظَلَّت لِآلاءِ الرَسولِ تُعَدِّدُ
وَما بَلَغَت مِن كُلِّ أَمرٍ عَشيرَهُ ∴ وَلَكِن لِنَفسي بَعدُ ما قَد تَوَجَّدُ
أَطالَت وُقوفاً تَذرِفُ العَينُ جُهدَها ∴ عَلى طَلَلِ القَبرِ الَذي فيهِ أَحمَدُ
فَبورِكتَ يا قَبرَ الرَسولِ وَبورِكَت ∴ بِلادٌ ثَوى فيها الرَشيدُ المُسَدَّدُ
وَبورِكَ لَحدٌ مِنكَ ضُمِّنَ طَيِّباً ∴ عَلَيهِ بِناءٌ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدُ
تَهيلُ عَلَيهِ التُربَ أَيدٍ وَأَعيُنٌ ∴ عَلَيهِ وَقَد غارَت بِذَلِكَ أَسعُدُ
لَقَد غَيَّبوا حِلماً وَعِلماً وَرَحمَةً ∴ عَشِيَّةَ عَلَّوهُ الثَرى لا يُوَسَّدُ
وَراحوا بِحُزنٍ لَيسَ فيهِم نَبِيُّهُم ∴ وَقَد وَهَنَت مِنهُم ظُهورٌ وَأَعضُدُ
يُبَكّونَ مَن تَبكي السَمَواتُ يَومَهُ ∴ وَمَن قَد بَكَتهُ الأَرضُ فَالناسُ أَكمَدُ

وفي الحديث عَنْ عُمَرَ قَالَ: "كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصارِ، في بني أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ، وهي من عَوالي المدينةِ، وكنا نتناوَبُ النزولَ على رسولِ اللهِ ﷺ ينزِلُ يومًا وأنزِلُ يومًا، فإذا نزَلتُ جئتُه بخبرِ ذلك اليومِ من الوحيِ وغيرِه، وإذا نزَل فعَل مثلَ ذلك، فنزَل صاحِبي الأنصارِيُّ يومَ نوبَتِه، فضرَب بابي ضربًا شديدًا، فقال: أثَمَّ هو؟ ففزِعْتُ فخرَجتُ إليه، فقال: قد حدَث أمرٌ عظيمٌ، قال: فدخَلتُ على حفصةَ فإذا

هي تبكي، فقلتُ: طلَّقكُنَّ رسولُ الله ﷺ؟ قالتْ: لا أدري، ثم دخَلتُ على النبيِّ ﷺ فقلتُ وأنا قائمٌ: أطلَّقتَ نساءَك؟ قال: لا. فقلتُ: اللهُ أكبرُ" (١).

وخطب النبي ﷺ ودروسه في المسجد النبوي الشريف أوضح مثال على ذلك، ففي درس من دروسه ﷺ ورد حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب، قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ فاسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: **"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا "** قال: صدقت. قال فعجبنا له. يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره"** قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: **"أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"**. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: **"أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان"**. قال ثم انطلق. فلبثت

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٩) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

مليا. ثم قال لي: **يا عمر! "أتدري من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** (١).

فالعلم دواء للجهل، وحاجة الناس إلي العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، يقول الإمام ابن القيم الجوزية عن العلم: (به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، وعن طريقه وصل إليه الواصلون، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف راحة الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، وهو إمام والعمل مأموم، ثم يقول....مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل الصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام)(٢).

٢- **المسجد مدرسة لتعليم المسلمين العبادات بصورة عملية تطبيقية،** ففيه وقف النبي ﷺ يعلم الصحابة الصلاة، ففي قصة الصحابي الذي أساء في صلاته وعلمه النبي ﷺ الصلاة الصحيحة دار بينهما هذا الحوار، ففي الحديث: "أنَّ رسولَ الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجدِ يومًا - قال رفاعةُ: ونحن معه - إذا جاءه رجلٌ كالبدويِّ، فصلَّى، فأَخَفَّ صلاتَه، ثم انصرف فسلَّم على النَّبيِّ ﷺ فقال النَّبيُّ ﷺ: **"وعليك، فارجعْ فصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ"** فرجع فصلَّى، ثم جاء فسلَّم عليه، فقال: **"وعليك، فارجعْ فصلِّ فإنك لم تُصَلِّ"** (ففعل ذلك) مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يأتي

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ٤٨٤، ٤٨٥.

النَّبيَّ ﷺ فيُسلِّمُ على النَّبيِّ ﷺ فيقولُ النَّبيُّ ﷺ: **"وعليك، فارجِعْ فصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ"** فعاف الناسُ وكبُرَ عليهم أن يكونَ مَن أخفَّ صلاتَه لم يُصلِّ، فقال الرجلُ في آخرِ ذلك: فأَرِني وعلِّمْني، فإنما أنا بشرٌ أُصيبُ وأخطئ.

فقال **"أجل، إذا قمت إلى الصلاةِ فتوضأ كما أمرك اللهُ به، ثم تشهَّدْ فأَقِمْ أيضًا، فإن كان معك قرآنٌ فاقرأْ، وإلا فاحمد اللهَ وكبِّرْه وهلِّلْه، ثم اركع فاطمئنَّ راكعًا، ثم اعتدلْ قائمًا، ثم اسجدْ فاعتدِلْ ساجدًا، ثم اجلِسْ فاطمئنَّ جالسًا، ثم قُمْ، فإذا فعلتَ ذلك فقد تمتْ صلاتُك، وإن انتقَصتَ منه شيئًا انتقصْتَ من صلاتِك"** قال: وكان هذا أهونَ عليهم من الأولى، أنه من انتقَص من ذلك شيئًا انتقص من صلاتِه؛ ولم تذهبْ كلُّها" (١).

ولما عطس رجل في صلاته وشمته الآخر في الصلاة، علمه النبي ﷺ أن هذا لا يجوز في الصلاة، ففي الحديث عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ: "بينا أنا أُصلِّي معَ رسولِ الله ﷺ إذ عطَس رجلٌ منَ القومِ. فقلتُ: يرحمُك اللهُ! فرَماني القومُ بأبصارِهم. فقلتُ: واثُكلَ أُمِّياه! ما شأنُكم؟ تَنظُرونَ إليَّ. فجعَلوا يَضرِبونَ بأيديهم على أفخاذِهم. فلما رأيتُهم يُصَمِّتونَني. لكني سكَتُّ. فلما صلَّى رسولُ الله ﷺ. فبِأبي هو وأمِّي! ما رأيتُ مُعَلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تَعليمًا منه. فوالله! ما كهَرَني ولا ضرَبَني ولا شتَمَني. قال **إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ. إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ"** (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٠٢) وقال حديث حسن، عن رفاعة بن رافع ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

٣- **المسجد مدرسة للتعلم والتعليم للكبار**، ففي مسجده ﷺ تعلم الصحابة من النبي ﷺ ثم علموا أولادهم، والجيل الثاني وهكذا، وأصبحت لديهم القدرة العلمية الفائقة على التعليم والإقناع، وبرز من بينهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن، وأبو هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه قارئ القرآن، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه أعرف الناس بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت رضي الله عنه أعلمهم بالفرائض، والسيدة عائشة معلمة الرجال والنساء، وغيرهم من الفقهاء والعلماء الربانيين.

كما أنه كان دارا للإفتاء والجواب على أسئلة السائلين التي تعن لهم في مختلف جوانب الحياة، وهو مدرسة لمحو الأمية وتعليم القراءة والكتابة بين المسلمين، فالنبي ﷺ جعل فدية الأسرى من المشركين بعد غزوة بدر أن يعلم الأسير عشرة من أولاد الصحابة القراءة والكتابة.

٤- **المسجد مدرسة لتعليم النشء وتحفيظهم القرآن الكريم**، وذلك حينما تخصص حلقة يومية لتعليم قراءة القرآن الكريم، وأحكام التلاوة للصغار، فيجمع الطفل بين القراءة الصحيحة وحفظ ما تيسر من سور القرآن الكريم وهو صغير، فيستقيم لسانه، وتقوى ذاكرته، ويسمو بذوقه في التعامل مع القرآن الكريم، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[1].

(١) سورة المزمل الآية (٤).

وفي الحديث قال ﷺ: **"خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه"** (١).

٥- **لأهمية دور المسجد في تعليم النشء**؛ اقترح أحد المعلمين أن يذهب الطفل إلى المسجد ومعه مصحفه، وكراسه، وقلمه فقط، ومن المصحف يتعلم كل شيء، فمنه يتعلم القراءة والكتابة، حينما يكتب ما يريد أن يحفظه، ويتعلم الإملاء وحسن الخط، ويتعلم النحو والصرف، ويتعلم العقيدة والأخلاق، والتفسير والفقه والسيرة والتاريخ والجغرافيا، والفلك والحساب والكسور العشرية، وكل العلوم.

وذلك حينما يحفظ سورة يقوم الشيخ بشرحها وتدريسها له، فحينما يحفظ آيات المواريث يعطه الشيخ درسا في الحساب، والكسور العشرية، وحينما يحفظ سورة يس يعطه الشيخ درسا في الجغرافيا، ومنازل القمر ودوران الشمس، وحينما يحفظ سورة البقرة يعطه درسا في مكارم الأخلاق، ومن سورة الفرقان يعطيه درسا في صفات عباد الرحمن، وحينما يحفظ سورتي النور والحجرات يعطه درسا في الآداب، وحينما يحفظ سورة الأحزاب يعطه درسا في التاريخ، وحينما يحفظ سورتي الضحى والشرح يعطه درسا في السيرة، وهكذا في كل سورة يعطيه الدروس البارزة منها، فيختم القرآن وقد تعلم كل شيء في المرحلة الابتدائية، ويكون هذا كله وهو موصول بالقرآن الكريم، وفي المسجد، وهو على وضوء وطهارة، فيجمع بين العلم والعمل والأخلاق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفان ﷺ.

٦- **إقامة حلقات للنشء لتعليمهم بعض أحكام الفقه الإسلامي**، مثل الاستنجاء والوضوء، وطهارة البدن والثوب والنفس، فيكون المسلم على وضوء طوال النهار، طاهر الظاهر والباطن، وفي الحديث قال ﷺ: **"إذا توضأ العبدُ المسلمُ "أو المؤمنُ" فغسل وجهَه، خرج من وجهِه كلُ خطيئةٍ نظر إليها بعينيه مع الماءِ "أو مع آخرِ قطرِ الماءِ" فإذا غسل يديه خرج من يديه كلُ خطيئةٍ كان بطشتها يداه مع الماءِ "أو مع آخرِ قطرِ الماءِ" فإذا غسل رجليه خرجت كلُّ خطيئةٍ مشتها رجلاه مع الماءِ "أو مع آخرِ قطرِ الماءِ" حتى يخرجَ نقيًا من الذنوبِ"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"أرأيتُم لو أن نهرًا بباب أحدِكم، يغتسل فيه كلَّ يوم خمسًا، ما تقول: ذلك يبقي من دَرَنه. قالوا: لا يُبقي من درنِه شيئًا، قال: فذلك مثلُ الصلواتِ الخمسِ، يمحو اللهُ بها الخطايا"** (٢).

٧- **تعليم النشء النظام، من خلال الصلاة في مساواة الصفوف**، وعدم التقدم على غيره، أو سبق الإمام أو مساواته، ويتعلم الانضباط في الوقت، من خلال الصلوات الخمس جماعة في المسجد، فالذي ينضبط في إقامة الصلوات الخمس في جماعة في المسجد يستطيع أن ينضبط في شؤون حياته كلها، في البيت مع الوالدين، ومع الجيران، ومع الزملاء والأصدقاء في الفصل، وقضاء مصالح الناس، وفي كل شيء يكون طرفا فيه.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٨- **تعليم النشء بعض أحكام الإسلام من خلال المسابقات الموسمية**، التي تقدم لهم من المسجد، فهي تقدم معلومة غير مباشرة، وتجعله يبحث في الكتب والمصادر ليتعرف على معلومات جديدة، وفي المسابقة إعمال للعقل، وتحريك للفكر، وتنمية ملكات الإنسان في الاستنباط والقياس والتحليل.

ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في تعليم الصحابة حينما سألهم: قال رسولُ اللهِ ﷺ يومًا لأصحابِه **"أخبِروني عن شجرةٍ، مثلُها مثلُ المؤمنِ"**. فجعل القومُ يذكرون شجرًا من شجرِ البوادي. قال ابنُ عمرَ: وأُلقِيَ في نفسي- أو رُوعي؛ أنها النخلةُ. فجعلت أريدُ أن أقولَها. فإذا أسنانُ القومِ، فأهابُ أن أتكلَّمَ. فلما سكتوا، قال رسولُ اللهِ ﷺ **"هي النخلةُ"** (١).

٩- **يقوم المسجد بتوفير مكتبة للحي ورقية وسمعية وبصرية**، فتساهم في تعليم المسلمين وتثقيفهم ونشر الوعي والعلم والمعرفة، فكلما ازدادت القراءة والاطلاع انتشر العلم، واتسعت الثقافة، وتقدمت الأمة، ولحقت بركب السابقين في التقدم العلمي والمعرفي.

١٠- **يقوم المسجد بتقديم دورات متخصصة مكثفة**، في العلوم الشرعية لتكون مفتاحا للعلوم، وتشجيعا للدارسين على مواصلة طريق الدراسة، والعلوم الشرعية بحر واسع، وميدان فسيح، فيمكن عمل دورات في التفسير وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة والأخلاق، والخطابة والدعوة، والسيرة،

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨١١) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

واللغة العربية نحوا وصرفا، والعروض إلى غير ذلك مما يحتاجه الدارسين من العلوم الشرعية المختلفة. يقول مالك بن الحويرث ﷺ: **"أتينا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلةً، وكان رسولُ الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلَنا، أو قد اشتقْنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: ارجِعوا إلى أهلِيكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومروهم. وذكر أشياءَ أحفظُها، أو لا أحفظُها: وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرتِ الصلاةُ، فلْيؤذنْ لكم أحدُكم، وليؤمَّكم أكبرُ كم"** (١).

١١- **مدارسة العلم الشرعي بالمسجد،** فعن أبي هريرة ﷺ أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا وأين هو؟ قال في المسجد، فخرجوا سراعا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم ما لكم؟ فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا بلى، رأينا قوما يصلون، وقوما يقرؤون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ!)(٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث ﷺ.

(٢) الحديث أورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٨٢/١ إسناده حسن، عن عبد الله الرومي ﷺ.

وفي الحديث خرج رسولُ الله ﷺ ونحنُ في الصُفَّةِ. فقال: **"أيكم يحبُّ أن يغدو كلَّ يومٍ إلى بطحانَ أو إلى العقيقِ فيأتي منهُ بناقتيْنِ كوماويْنِ، في غيرِ إثمٍ ولا قطعِ رحمٍ؟ "** فقلنا: **يا رسولَ الله! نحبُّ ذلك. قال: " أفلا يغدو أحدكم إلى المسجدِ فيُعَلِّمَ أو يقرأَ آيتيْنِ من كتابِ الله ﷻ خيرٌ لهُ من ناقتيْنِ. وثلاثٌ خيرٌ لهُ من ثلاثٍ. وأربعٌ خيرٌ لهُ من أربعٍ. ومن أعدادهنَّ من الإبلِ"** (١).

وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ **"بينما هو جالسٌ في المسجدِ والناسُ معه، إذْ أقبلَ ثلاثةُ نَفَرٍ، فأقبل اثنان إلى رسولِ الله ﷺ وذهبَ واحدٌ، قال: فوقفا على رسولِ الله ﷺ فأمَّا أحدُهما: فرأى فرجةً في الحَلْقَةِ فجلَسَ فيها، وأمَّا الآخرُ: فجلَسَ خلفَهم، وأمَّا الثالثُ فأدبَرَ ذَاهبًا، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ قال: ألا أخبرُكم عن النفرِ الثلاثةِ؟ أمَّا أحدُهم فأوى إلى الله فآواه اللهُ، وأمَّا الآخرُ فاستحْيَا، فاستحيَا اللهُ منه، وأمَّا الآخرُ فأعرضَ، فأعرضَ اللهُ عنه"** (٢).

فهذه الأحاديث تبين أهمية العلم والتعلم وفضله، والحرص على حضور مجالسة، وتحصيله ومدارسته في المسجد، لأنه عبادة يتعبد المسلم بها إلى الله مثل الصلاة وغيرها. فالمسجد مدرسة لدروس العلم، وحلقات الوعظ للرجال والنساء سواء بسواء.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٠٣) عن عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٦) عن أبي واقد الليثي ﷺ.

٣- رسالة المسجد في الناحية التربوية.

المسجد من أبرز الميادين الذي يساهم في التربية بصورة قوية ومباشرة، وقد قام بهذا الدور مستمرا إلى الآن وإلى قيام الساعة، بالرغم من وجود الهيئات التربوية المتخصصة المستقلة. والتربية معناها النمو والزيادة، وتعني: نقل الإنسان من محيط إلى محيط، ومن مستوى إلى مستوى، وتحسين أدائه وسلوكه في كل ما يصدر عنه.

ويمكن أن يساهم المسجد في الناحية التربوية من خلال ما يأتي:

١- **المسجد له دور كبير في التربية الإيمانية**، والعمل على تنمية الإيمان وزيادته في قلوب المسلمين، وتهذيب النفوس، والسمو بالروح إلى أعلى درجة، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال المواظبة على الصلوات الخمس في جماعة، وسماع القرآن الكريم، والتدبر لمعانيه، وحضور الخطب والدروس الوعظية، والمحاضرات التربوية، فالتربية في الإسلام لا تتوقف عند سن أو حد معين، وإنما يحتاج الإنسان إلى التربية حتى الوفاة.

ويمكن الاستفادة من المناسبات ومواسم العبادة في التربية الإيمانية، مثل: شهر رمضان، وصلاة التراويح، والقيام، ومدارسة القرآن، فهذا كله يربي المسلم على الصبر على الطاعة، والتجرد والإخلاص، وتحسين الأخلاق، والإحساس بالآخرين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

ويمكن الاستفادة أيضا من موسم الحج في تربية النفس على تحمل المشاق، وأداء النسك والعبادات، وتغيير عادات الإنسان، والتضحية بالوقت والمال، وربط الذاكرة بتاريخ الأنبياء السابقين وبالأماكن المقدسة في الإسلام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[2].

ويمكن الاستفادة من فريضة الزكاة في موسم جمع المحاصيل الزراعية والفواكه والثمار، فهي مناسبة لتربية النفوس على العطاء والبعد بها عن الشح والطمع والبخل والانتصار على شهوة التملك وجمع المال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

الاستفادة من القصص القرآني بجميع صوره وأشكاله وألوانه، فالقصة وسيلة موحية ومؤثرة عند المستمع، سواء من قصص الأنبياء، أو الصالحين، أو الطيور والحيوانات، فالقصص القرآني للتسرية، والتربية، والعظة والعبرة.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥).

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴿٣﴾ ﴾[٣].

وكل عبادة أو موسم للخير والطاعة، يمكن توظيفه تربويا، بما يحقق الهدف والغاية منه، مثل: الاعتكاف، ليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، والعيدان، ومناسبات الغزوات، وأحداث السيرة.

٢- تربية الأطفال الصغار والنشء في المسجد على آداب الإسلام المختلفة، في الطعام والشراب، والدخول الخروج، والجلوس والقيام، والتعامل من الكبار والمعلمين، والوالدين وكبار السن، وجميع الآداب الاجتماعية المختلفة، فالتربية الجماعية المسجدية تساهم بشكل كبير ومباشر في تغيير سلوك الأطفال نحو الأفضل، في سهولة ويسر، وكل من عاش مرحلة الطفولة في المسجد في حلقات التربية ساهمت في تميزه وأخلاقه وسلوكه بشكل كبير، خاصة إذا وجد المربي النابغ الذي لا يقف دوره عند التعليم فقط، وإنما يركز على غرس المعاني في نفس الطفل إلى أن تصبح جزءا من تكوينه الشخصي، وعاداته الاجتماعية الحميدة.

---

(١) سورة يوسف الآية (١١١).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٦).

(٣) سورة يوسف الآية (٣).

٣- **المسجد يقدم الصورة المثالية للمعلم القدوة**، الذي يكتسب منه الطفل التربية الصامتة، خاصة حينما يكون المربي منضبطا في كل شيء، متقنا لكل شيء، حسن الهيئة والمنظر، حلو المنطق، طليق الوجه، يستخدم أسلوب الترغيب والتشجيع، يعالج الخطأ في رفق ولين، وقد قدم النبي ﷺ الأمثلة الرائعة كمربي ومعلم للصحابة، ومصوبا لخطأ المخطئين، تمثل ذلك في صور كثيرة منها ما يأتي:

أ- قصة الأعرابي الذي بال في المسجد.

ب- قصة الشاب الثائر، الذي جاء ليطلب الإذن في الزنا.

جـ- قصة الصحابي الذي تكلم في الصلاة، بتشميت العاطس.

د- قصة المسيء في صلاته، وعلمه النبي ﷺ كيف يصلي.

هـ- الستر على أحوال المخطئين في قول عائشة أم المؤمنين ﵂: **"كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بَال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بَال أقوام يقولون كذا وكذا!"** (١).

٤- **تربية المصلين على آداب الإسلام في كل شيء**، خاصة المعاملات بين الناس بعضهم البعض فالدين المعاملة، مثل:

أ- **إلقاء السلام**، وفي الحديث: **"أن رجلا سأل النبيَّ ﷺ أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: تُطعِمُ الطعامَ، وتَقرَأُ السلامَ، على من عَرَفتَ، وعلى من لم تَعرِفْ"** (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٧٨٨) صحيح، عن عائشة أم المؤمنين ﵂.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٨) عن عبد الله بن عمرو ﵄.

ب- **طلاقة الوجه**، وفي الحديث قال ﷺ: **"لا تحقرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلِقٍ"** (١).

جـ- **السماحة في البيع والشراء**، والمعاملات، والمقاضاة، ومن حديث طويل قدسي: **"قال ﷺ: ثم يقول الله ﷻ انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال فيجدون في النار رجلا فيقول له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء فيقول الله ﷻ اسمحوا لعبدي كسماحه إلى عبيدي"** (٢).

د- **حقوق الطريق العامة**، وفي الحديث قال ﷺ: **"إياكم والجلوسَ في الطرقاتِ. فقالوا: ما لنا بدٌ، إنما هي مجالسُنا نتحدثُ فيها. قال: فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّها. قالوا: وما حقُّ الطريقِ؟ قال: غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، وأمرٌ بالمعروفِ، ونهيٌ عن المنكرِ"** (٣).

هـ- **حفظ الجوارح**، وفي الحديث قال ﷺ: **"استَحيوا منَ اللهَّ حقَّ الحياءِ، قُلنا: يا رسولَ اللهَّ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللهَّ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا يعني: منَ اللهَّ حقَّ الحياءِ"** (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٢٦) عن أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٩/١ وإسناده صحيح، عن أبي بكر الصديق ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٤٦٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) الحديث أورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٧) حديث حسن لغيره، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

و- **الحقوق العامة للمسلمين**، وفي الحديث قال ﷺ: **"حقُّ المسلمِ على المسلمِ ستٌّ. قيل: ما هنَّ؟ يا رسولَ اللهِ! قال: إذا لقِيتَه فسلِّمْ عليه. وإذا دعاك فأَجِبْه. وإذا استنصحَك فانصحْ له. وإذا عطِس فحمِدَ اللهَ فشَمِّتْهُ وإذا مرِضَ فعُدْهُ. وإذا مات فاتَّبِعْهُ"** (١).

ز- **خدمة المجتمع بقضاء مصالح الناس**، ففي الحديث قال ﷺ: **"أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفعُهُمْ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ﷻ سُرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تَكشِفُ عنهُ كُربةً، أو تَقضِيَ عنهُ دَيْنًا، أو تَطرُدَ عنهُ جُوعًا، ولَأَنْ أمْشِيَ مع أخِي المسلمِ في حاجةٍ أحَبُّ إليَّ من أنْ أعتكِفَ في المسجدِ شهْرًا، ومَنْ كفَّ غضَبَهُ، سَتَرَ اللهُ عوْرَتَهُ، ومَنْ كظَمَ غيْظًا، ولوْ شاءَ أنْ يُمضِيَهُ أمْضاهُ، مَلأَ اللهُ قلْبَهُ رضي يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أخيهِ المسلمِ في حاجَتِه حتى يُثْبِتَها لهُ، أثْبتَ اللهُ ﷻ قدَمِه يومَ تَزِلُّ الأقْدامُ، وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العملَ، كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"** (٢).

٥- **يمكن للمسجد أن يقوم بتنظيم رحلات تربوية ترفيهية**، يركز فيها على الجانب التربوي، مثل: إيثار الآخرين على النفس، وإغاثة الملهوف، بالتسابق عند الفزع، والتأخر عن المغنم والطمع، فالكتب وحدها لا تصنع التربية، ولا تقوم السلوك، وإنما لابد من مربي ومؤدب يرقب النفس، ويشخص المرض، ويقدم العلاج، ويتعهد المريض حتى يبرأ من الأمراض والآفات، فالناس في تجمعاتهم

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٦٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أورده الألباني في صحيح الجامع (١٧٦) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

الترفيهية يظهرون على سجيتهم وطبائعهم دون تكلف وتصنع، ويمكن الاستفادة من ذلك في تقويم آفات النفس، وأمراض السلوك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾[١]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾[٢].

٦- يمكن للمسجد أن يقدم دورات تربوية للخطّاب المقبلين على الزواج، في كيفية اختيار الزوجة الصالحة، وللعاقدين في ضوابط العلاقة الزوجية في فترة العقد، وللمتزوجين حديثا، في كيفية تربية الأولاد في الإسلام.

وذلك بتعريفهم وتدريبهم على الطريقة المثلى في التربية، وكيفية التعامل مع الطفل، منذ ميلاده حتى بلوغه، فيتم التذكير بالآذان والإقامة في أذن المولود، والعقيقة، وحسن تسميته، وتحنيكه، والدعاء له، وحلق شعره، والتصدق بقيمة وزنه ذهبا أو فضة، ورضاعته بالطريقة الطبيعية، إلى غير ذلك مما ورد في الإسلام من آداب في تربية الطفل والنشء. وكذلك دورات تخصصية للمتزوجين قديما من الجنسين، في تقديم الوسائل والأساليب المبتكرة في تجديد الحياة الزوجية السعيدة.

❁❁❁

(١) سورة الشمس الآيات (٧- ٩).

(٢) سورة النازعات الآيتان (٤٠- ٤١).

٤- رسالة المسجد في الناحية الاجتماعية.

المسجد لـه دور كبـير في إصـلاح المجتمـع وأسره وأفـراده، حيـث يـتم توجيـه المصلين نحو المساهمة في بناء المجتمع وإصلاحه والنهوض به. ويمكن تطبيق ذلـك من خلال هذه النقاط:

١- **تقوية رابطة الأخوة بين المسلمين**، من خلال التعـارف والتـآلف والـتراحم بين المصلين، فهم يلتقون كل يوم خمس مرات في صلاة الجماعة، فلابدَّ أن يعرف كل منهم الآخر، من خلال المسجد، ومعرفة المسجد تكون قويـة وباقيـة؛ لأنهـا لله، وفي الله، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **"ورجلان تحابـا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه"** (١).

٢- **ترسيخ قواعد البناء الاجتماعي بين المسلمين**، وذلك من خلال مبدأ المساواة، ففي داخله، ومن خلال الصلاة يتم تطبيق ذلك، لا فرق بين غني وفقير، وأبيض وأسود، وعربي وأعجمي، وإنما الجميع سواسية أمام الله ﷻ وأولوية الصف الأول لمن حضر مبكرا، والتفاضل عند الله بالتقوى، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨٠٦) عن أبي هريرةﷺ.

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

فتذوب الفروق بين الجميع، وفي الحديث قال ﷺ: **"يا أيها الناسُ! إنَّ ربَّكم واحدٌ، و إنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا عجميٍّ على عربيٍّ، و لا لأحمرَ على أسودَ، و لا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ قال: فيُبَلِّغُ الشاهدُ الغائبَ"** (١).

كما أنه كان مركزا لتعليم المسلمين النظام والانضباط، من خلال الصلوات الجماعية التي تقام فيه، من حيث الوقت، والتسوية، والمتابعة، واختيار الإمام وشروطه، ومن يليه في الصفوف الأولى.

وفي الحديث: "كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنا حتَّى كَأنَّما يُسَوِّي بها القِداحَ حتَّى رَأَى أنَّا قدْ عَقَلْنا عنْه، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقامَ، حتَّى كادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فقالَ: عِبادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أوْ لَيُخالِفَنَّ اللهُ بيْنَ وُجُوهِكُمْ"(٢).

٣- **المسجد يتفقد أصحاب الظروف الخاصة**، من المرضي، والمسافرين، وأصحاب النوازل والحاجات، فيمكن زيارتهم للاطمئنان على أحوالهم، ومساعدتهم على قدر الوسع والطاقة، وتفقد أسرهم بما يحتاجون، لحين عودة عائلهم المسافر من سفره، ويتعاون المصلون فيما بينهم لمواساة الفقراء، ومتابعة حالة الوفاة، وتجهيزهم، والصلاة عليهم، والمشي في جنازتهم، ودفنهم، وعزاء أهليهم،

(١) الحديث أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠) إسناده صحيح، عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٣٦) عن النعمان بن بشير ﷺ.

وهذا كله يشعر أهل الحي أنهم أسرة واحدة: **"المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومتسريهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده"** (١).

وفي الحديث: **"مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثَلُ الجسدِ، إذا اشتكَى منه عضوٌ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى"**(٢).

٤- **المسجد يستنفر منه المسلمون لمساعدة أصحاب النوازل**، الذين نزلت بهم الكوارث، وهو ما يسمى بإغاثة الملهوف، حيث ينادي الإمام الصلاة جامعة ثم يوجه المسلمين في الحي إلى القيام بدورهم الإيجابي في إطفاء الحريق، أو رفع أنقاض البيوت التي هدمت، أو مساعدة المتضررين من السيول والأمطار.

وحينما اشتدت الجدب بالناس في عصر النبي ﷺ جاءه أعرابي فقال: "أصاب أهلُ المدينةِ قحطٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فبينا هو يخطبُ يومَ جمعةٍ، إذ قام رجلٌ فقال: يا رسولَ الله هلكتِ الكُرَاعُ، هلكتِ الشاءُ، فادعُ اللهَ يَسقينا. فمدَّ يديهِ ودعا، قال أنسٌ: وإنَّ السماءَ لمثلُ الزجاجةِ، فهاجتْ ريحٌ أنشأتْ سحابًا، ثم اجتمعَ، ثم أرسلتِ السماءُ عَزَالِيَهَا، فخرجنا نخوضُ الماءَ حتى أتينا منازلنا، فلم نزلْ نُمْطَرُ إلى الجمعةِ الأخرى، فقام إليهِ ذلك الرجلُ أو غيرَهُ، فقال: يا رسولَ الله، تهدَّمَتِ البيوتُ، فادْعُ اللهَ يحبسْهُ. فتبسَّمَ ثم قال: **"حَوَالَيْنَا ولا علينا"**. فنظرتُ إلى السحابِ تصدَّعَ حولَ المدينةِ كأَنَّهُ إكليلٌ" (٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٧٥١) حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٥٨٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فكان المسجد ملجأ للمسلمين عند الفزع، حيث يجتمع ولي الأمر مع المسلمين وأصحاب الحل والعقد؛ للنظر فيما نزل بالمجتمع من كوارث ونوازل، مثلما كان يفعل النبي ﷺ حيث يقول الصلاة جامعة.

٥- **المسجد يقوم بدور رائد في رعاية الأطفال الأيتام**؛ بتربيتهم وكفالتهم ماديا ومعنويا؛ حتى يبلغوا سن البلوغ أو الرشد، وفي الحديث قال ﷺ: **"أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هَكَذا، وأشارَ بالسَّبَّابةِ والوُسطى، وفرَّجَ بينَهما شيئًا"** (١).

وقد قامت مؤسسة الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة، وفروعها في الأقاليم، بنموذج ناجح في كفالة الأيتام، والعمل الاجتماعي، بصورة رائدة وناجحة، ومشرفة ومشرقة، وهو من فروض الكفايات، التي ترفع به الحرج عن جمهور المسلمين.

٦- **المسجد يقوم على متابعة الأرامل ومساعدتهم**، فيقوم بدور الرعاية الاجتماعية حتى لا تنهار الأسرة، أو يشرد الأولاد، فقد يوفر لها زوجا يقوم على عفتها، ورعايتها وتربية أولادها، ومن ثم ترى أن المسجد له دور مع المريض، والمتوفى، واليتيم، والأرملة، وأسرهم جميعا.

٧- **المسجد كان مأوى لعابري السبيل**، والمسافرين الذين لا يجدون مكانا للمبيت أو الإعاشة، فهو بيت من لا بيت له، وهو مقر مؤقت للمسافر لحين رحيله إلى بلده، وكان المسجد في عهد النبي ﷺ مأوى وملجأ للفراء والمساكين للإقامة

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٣٠٤) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

والإعاشة وقبلهم أهل الصفة الذين كانوا ينامون ويأكلون ويعيشون فيه إلى أن أغناهم الله من فضله.

٨- **المسجد كان مستشفى يعالج فيه المرضى**، فكانت فيه الخيمة التي كان يداوى فيها سعد بن معاذ، وكانت رفيدة الأنصارية تقوم على مداوات جرحى المسلمين([1]).

٩- **المسجد كان ميدانا للترفيه، واللهو المباح**، وقصة الأحباش الذين يلعبون بحرابهم في المسجد النبوي أكبر دليل على ذلك، وفي الحديث تقول السيدة عائشة: **"وضعَ رسولُ اللهِ ﷺ ذقني علَى منكبِهِ، لأنظرَ إلى زفنِ الحبشةِ، حتَّى كنتُ الَّتي مَلِلْتُ فانصرفتُ عنهُ، قالَ لي عروةُ: إنَّ عائشةَ قالت: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يومئذٍ: لتعلمَ يَهودُ أنَّ في دينِنا فُسحةً، إنِّي أُرسلتُ بحَنيفيَّةٍ سَمحةٍ"** [2].

١٠- **المسجد مركزا للمؤتمرات**، ومقرا للاجتماعات المحلية والإقليمية والعالمية، للتشاور فيما يقع للمسلمين من أزمات ونوازل، فتطرح للحوار والنقاش والتشاور للبحث عن حلول واقعية في ضوء تعاليم القرآن والسنة. مثل ما وقع في المشاورة حول غزوة أحد، والأحزاب، وفتح مكة.

١١- **المسجد منتدى ثقافي أدبي**، تقام فيه الحفلات الأدبية والشعرية التي فيها مدح للإسلام والرسول كما كان حسان يفعل ذلك في مسجد الرسول ﷺ: "مَرَّ عمرُ في المسجدِ، وحسَّان يُنشِدُ، فقال: كنت أُنشِدُ فيه، وفيه من هو خيرٌ منك، ثم التفت

---

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم (١٧٦٩) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) عمدة التفاسير أحمد شاكر ٨٤٧/١ إسناده صحيح، عن عائشة رضي الله عنها.

إلى أبي هريرةَ فقال: أَنشُدُك بالله، أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: "أجبْ عني، اللهم أيِّدَه بروحِ القدُسِ، قال: نعم" (١).

وقصة إسلام كعب بن زهير، تبين إنشاد الشعر في المسجد في حضرة الرسول ﷺ: "لما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، منصرفَه من الطائفِ، كتب بجيرُ بنُ زهيرِ بنِ أبي سلمَى، إلى أخيه كعبِ بنِ زهيرِ بنِ أبي سلمَى، يُخبره أن رسولَ الله ﷺ قتل رجلًا بمكةَ ممن كان يهجوهُ ويؤذيه، وأنه بقِي من شعراءِ قريشٍ، ابنُ الزبعرىِّ، وهبيرةُ بنُ أبي وهبٍ، قد هربوا في كلِّ وجهٍ، فإن كانت لك في نفسِك حاجةٌ، ففِرَّ إلى رسولِ الله ﷺ فإنه لا يقتلُ أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعلْ فانجُ ولا نجا لك.

وقد كان كعبٌ قال أبياتًا نال فيها من رسولِ الله ﷺ فلما بلغ كعبًا الكتابُ ضاقت به الأرضُ، وأشفق على نفسِه، وأرجفَ به مَن كان حاضرُه من عدوِّه، فلما لم يجدْ من شيءٍ بدا، قال قصيدتَه التي يمدحُ فيها رسولَ الله ﷺ بذكرِ خوفِه وإرجافِ الوشاةِ به، ثم خرج حتى قدم المدينةَ، فنزل على رجلٍ كانت بينَه وبينَه معرفةٌ من جهينةَ، كما ذكر لي، فغدا به إلى رسولِ الله ﷺ حينَ صلَّى الصبحَ، فصلَّى مع الناسِ، ثم أشار له إلى رسولِ الله ﷺ وقال: هذا رسولُ الله ﷺ فقمْ إليه فاستأمِنْه، فذكر لي أنه قام إلى رسولِ الله ﷺ حتى وضع يدَه في يدِه، وكان رسولُ الله ﷺ لا يعرفُه، فقال يا رسولَ الله إن كعبَ بنَ زُهيرٍ جاء ليستأمِنَ منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ قال رسولُ الله ﷺ نعم، فقال يا رسولَ الله أنا كعبُ بنُ زهيرٍ.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٢١٢) عن حسان بن ثابت ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ فحدثني عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ قال: وثَب عليه رجلٌ من الأنصار، فقال يا رسولَ الله دعْنِي وعدوَّ الله أضربُ عنقَه، فقال رسولُ الله ﷺ دعْه عنكَ فإنه قد جاء تائبًا نازعًا، فغضب على هذا الحيِّ من الأنصارِ لما صنع به صاحبُهم، وذلك أنه لم يتكلمْ فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخيرٍ، فقال قصيدتَه التي قالها حينَ قدم على رسولِ الله ﷺ وكان مما قال:

أُنبِئتُ أن رسولَ الله أوعدَني ∴ والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ
مهلًا هداك الذي أعطاك نافلةً ∴ الفرقانُ فيها مواعيظُ وتفصيلُ
لا تأخُذُني بأقوالِ الوشاةِ ولم ∴ أُذنِبْ وإن كثُرَت عني الأقاويلُ
إن الرسولَ لَنورٌ يُستضاءُ به ∴ مهنـدٌ من سيوفِ الله مسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ∴ ببطنِ مكةَ لما أسلَموا زُولوا

قال ابنُ إسحاقَ فحدثني عاصمُ بنُ عمرِو بنِ قتادةَ قال: فلما قال السودُ التنابيلُ وإنما أراد معشرَ الأنصارِ، لما كان صاحبُهم صنع، وخصَّ المهاجرين من قريشٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ بمدحتِه غضبت عليه الأنصار، فبعد أن أسلمَ أخذ يمدحُ الأنصار، ويذكُرُ بلاءَهم مع رسولِ الله ﷺ وموضعَهم من النبيِّ ﷺ.

مَن سرَه كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ في ∴ مقنبٍ من صالِحِي الأنصارِ.
الباذلينَ نفوسَهم لنبيِّهم ∴ يومَ الهياجِ وفتنةَ الحارِّ)[1].

(١) القصة أوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٥/٩ ورجالها ثقات، عن محمد بن اسحاق﵀.

١٢- **المسجد محكمة شرعية**، له دور كبير للقضاء على المنازعات وحل المشكلات، فحينما تقوم المحكمة في المسجد، والقاضي الإمام، والدستور القرآن والسنة، ويشعر المتنازعون هيبة ذلك كله فيقبلوا الحكم في رضا واستسلام. فالمسجد دار للقضاء حيث تعقد فيه مجالس فض المنازعات بين المتخاصمين في جو من الإيمان والمهابة.

١٣- **المسجد مكان لمباشرة عقود الزواج بين المتزوجين**، فالعقد يتم في أشرف البقاع، وفيه تقام خطبة النكاح، ويستمع المدعون لها في سكينة ووقار، فيتفاءل الزوجان ببناء أسرة جديدة تخرج من بيت الله تظله السعادة، وترفرف حوله الحب والمودة، ويكون فيه الطمأنينة والراحة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

١٤- **المسجد تقام فيه حفلات المعايدة في الأعياد**، فيجتمع أهل الحي فيه بعد صلاة العيد، ويهنئ بعضهم بعضا بقضاء الفريضة على خير، أو يمكن إلحاق به بيتا للضيافة والمناسبات بجوار المسجد، يقومون فيه بإكرام الضيوف، واستقبالهم، وإقامة الأفراح، وتهنئة أهل العروسين فيه، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية الكثيرة.

❁❁❁

(١) سورة التوبة الآية (١٠٩).

٥- رسالة المسجد في الناحية الاقتصادية.

للمسجد له دور كبير في مساعدة الناس ماليا واقتصاديا، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن إيضاح هذا الدور من خلال هذه النقاط:

١- **إيجاد صندوق لجمع التبرعات**، أو رقم حساب، يدفع الناس فيه زكاة أموالهم، وآخر للصدقات، وآخر للكفارات، وتوظف هذه الأموال في مصارفها الشرعية، فالزكاة توزع على الأصناف الثمانية التي وردت في الآية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[1].

وأما الصدقات والتبرعات والهبة والهدايا، فالباب فيها واسع في الإنفاق، على غير ما ذكر في الآية السابقة، ويمكن وضع ذلك كله في ما يسمى ببيت المال.

٢- **المسجد يقوم بعمل مشروعات اقتصادية للأرامل**، لتعليمهم الحياكة أو الخياطة، وإقامة مشاغل لهم، فيجعلهم أصحاب حرفة يتكسبون منها، وليسوا عالة على المجتمع في مساعدتهم بصفة مستمرة.

٣- إقامة أوقاف خاصة بالمسجد، يوظف العائد منها في الإنفاق على المسجد، ومتعلقاته، وصيانته ومرافقه، ومشروعاته المختلفة، فيكون له موارد شهرية، أو

---

(١) سورة التوبة الآية (٦٠).

سنوية، تجعله يستطيع أن يقوم بأعبائه ومسؤولياته الخيرية، سواء بالإنفاق على المسجد، أو مساعدة المحتاجين.

٤- **المسجد ملجأ وملاذا لأصحاب الديون**، حينما يلجأون إلى الله ﷻ بعمارة المسجد، والدعاء إلى الله ﷻ وقد دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: **"يا أبًا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله ﷻ همك، وقضى عنك دينك؟ قال قلت بلى يا رسول الله، قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال ففعلت ذلك فأذهب الله ﷻ همي وقضى عني ديني"** (١).

٥- **المسجد يعمل على إيجاد حلول عملية للمتسولين**، والمعوذين الذين تسمح صحتهم بالعمل، كأن يفتح له بابا ليحترف، مثل الرجل الذي رأه النبي ﷺ يمر يتسول.

ففي الحديث: **"أن رجلًا من الأنصارِ أتى النبيَّ ﷺ يسألُه! فقال أمَا في بيتِكَ شيءٌ؟ قال بلى، حِلْسٌ نلبسُ بعضَه ونَبسطُ بعضَه، وقعبٌ نشربُ فيه من الماءِ، قال ائتني بهما، قال فأتاه بهما، فأخذهما رسولُ اللهِ ﷺ بيده، وقال من يشتري هذينِ؟ قال رجلٌ أنا آخذهما بدرهمٍ، قال من يزيد على درهمٍ؟ مرتينِ أو ثلاثًا قال: رجلٌ أنا**

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٥٥٥) حديث ضعيف، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

آخذُهما بدرهمينِ، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمينِ، وأعطاهما الأنصاريَّ، وقال اشترِ بأحدِهما طعامًا، فانبِذْهُ إلى أهلِكَ واشترِ بالآخر قدُّومًا فأتني به، فأتاه به فشدَّ فيه رسولُ الله ﷺ عودًا بيدِه، ثم قال له اذهبْ فاحتطبْ وبعْ ولا أَرَينَّكَ خمسةَ عشرَ يومًا.

فذهب الرجلُ يحتطبُ ويبيعُ، فجاء وقد أصاب عشرةَ دراهمَ، فاشتَرَى ببعضِها ثوبًا، وببعضِها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ هذا خيرٌ لكَ من أن تجيءَ المسألةُ نكتةً في وجهِكَ يومَ القيامةِ، إنَّ المسألةَ لا تصلَحُ إلا لثلاثةٍ، لذي فقرٍ مُدْقِعٍ، أو لذي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أو لذي دَمٍ مُوجِعٍ" (١).

٦- **المسجد يعمل على توظيف طاقات المصلين في خدمة المحتاجين**، فجميع شرائع المجتمع تصلي في المسجد، ويمكن عمل قائمة بالأسماء والتخصصات، ثم التنسيق بينها وبين ما يحتاجه الفقراء، والأيتام، والأرامل من أهل الحي.

فهناك قائمة بأسماء الأطباء، والمهندسين، والمدرسين، والمحامين، والحرفيين، ويتبرع كل واحد منهم بموعد كل أسبوع، أو شهر، لمساعدة أصحاب الظروف الخاصة اقتصاديا في تخصصه، فالطبيب يوقع الكشف الطبي على الفقير مجانا، والمدرس يساعد الأولاد الأيتام في دروسهم مجانا، وهكذا كل في تخصصه.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٦٤١) حديث ضعيف، عن أنس بن مالك ﷺ.

٦- رسالة المسجد في الناحية العسكرية.

المسجد في العصر النبوي كان يقوم بدور عسكري كبير، فكان ثكنة عسكرية للجيش الإسلامي، تنطلق منه كتائب التوحيد، لتنشر النور في كل مكان، وتخرج منه السرايا، وتعقد فيه الألوية للمجاهدين، وكان معسكرا للتدريب، ومقرا لقيادة الجيش مع الجنود من للصحابة الكرام، في الصلوات الخمس، فكان الصحابة فيه فرسانا بالنهار رهبانا بالليل.

فالمسجد كان دارا للندوة والتشاور في أمور الدين والدنيا، مثل التشاور في ملاقاة المشركين بعد هزيمتهم في غزوة بدر، وقصة مناقشته ﷺ مع الصحابة في الاستعداد لغزوة أحد أكبر دليل على ذلك. (١).

والبلاد التي فتحها المسلمون كان أول عمل يفعلونه يقومون ببناء المسجد؛ شكرا لله على نعمة النصر.

١-**كانت تربط فيه الأسرى حتى ينظر في أمرهم بالفدية أو الإسلام**، ويطلع على حياة المسلمين، وعلاقتهم بعضهم مع بعض، مثل قصة ثمامة بن أثال، بعث رسولُ اللهِ ﷺ خيلًا قبلَ نجدٍ. فجاءت برجلٍ من بني حنيفةَ يقال له ثُمامةُ بنُ أُثالٍ. سيدُ أهلِ اليمامةِ. فربطوه بساريةٍ من سواري المسجدِ. فخرج إليه رسولُ اللهِ ﷺ فقال:

(١) انظر ابن هشام ٣/٥٨٥.

"ماذا عندك؟ يا ثُمامةُ!" فقال: عندي، يا محمدُ! خيرٌ. إن تقتُلْ تقتلْ ذا دمٍ. وإن تُنعِم تُنعِمْ على شاكرٍ. وإن كنتَ تريد المالَ فسلْ تُعطَ منه ما شئتَ. فتركه رسولُ الله ﷺ حتى كان بعد الغدِ. فقال **"ما عندك يا ثمامةُ؟!"**.

قال: ما قلتُ لك. إن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكرٍ. وإن تقتُلْ تقتُلْ ذا دمٍ. وإن كنتَ تريد المالَ فسلْ تُعطَ منه ما شئتَ. فتركه رسولُ الله ﷺ حتى كان من الغدِ. فقال **"ما عندك؟ يا ثمامةُ!"** فقال: عندي ما قلتُ لك. إن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكرٍ. وإن تقتُلْ تقتُلْ ذا دمٍ. وإن كنت تريدُ المالَ فسلْ تُعطَ منه ما شئتَ.

فقال رسولُ الله ﷺ **"أَطلِقوا ثُمامةَ"** فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد. فاغتسل. ثم دخل المسجدَ فقال: أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه. يا محمدُ! واللهِ! ما كان على الأرض وجهٌ أبغضُ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلِّها إليَّ. واللهِ! ما كان من دينٍ أبغضَ إليَّ من دِينِك. فأصبح دينُك أحبَّ الدينِ كلِّه إليَّ. واللهِ! ما كان من بلدٍ أبغضَ إليَّ من بلدِك. فأصبح بلدُك أحبَّ البلادِ كلِّها إليَّ.

وإنَّ خيلَك أخذَتْني وأنا أريد العمرةَ. فماذا ترى؟ فبشَّره رسولُ الله ﷺ وأمره أن يعتمرَ. فلما قدمَ مكةَ قال له قائلٌ: أصبَوتَ؟ فقال: لا. ولكني أسلمتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ ولا، واللهِ! لا يأتيكم من اليمامةِ حبةُ حنطةٍ حتى يأذن فيها رسولُ اللهِ ﷺ[1].

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٧٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- **القرار الذي أخذه النبي ﷺ في فتح مكة، كان في المسجد،** بعد قصة عمرو بن سالم: (كان في صلحِ رسولِ الله ﷺ يومَ الحُديبيةَ بينَه وبين قريشٍ أنه من شاء أعيدَ في عقدِ محمدٍ وعهدِه دخل ومن شاء أن يدخلَ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم دخل فمكثوا في الهدنةِ نحو السبعِ أو الثمانيةِ عشرَ شهرًا ثم إنَّ بني بكرٍ الذين دخلوا في عقدِ قريشٍ وثَبوا على خُزاعةَ الذين دخلوا في عقدِ رسولِ الله ﷺ ليلًا بماءٍ يقالُ له الوتيرُ قريبٌ من مكةَ وقالت قريشٌ هذا ليلٌ وما يعلمُ بنا محمدٌ ولا يرانا أحدٌ فأعانوا بني بكرٍ بالكلاعِ والسلاحِ وقابلوا خزاعةَ معهم للضَّغنِ على رسولِ الله ﷺ وركب عمرو بنُ سالمٍ الخُزاعيُّ إلى رسولِ الله ﷺ عند ذلك يخبرُهُ الخبرَ فلما قدِم عليه أنشدَه:

اللهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ∴ حِلفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

كُنَّا وَالِدًا وَكُنتَ وَلَدَا ∴ ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنزِعْ يَدَا

فانْصُرْ رَسُولَ الله نَصرًا عَتِدَا ∴ وَادعُوا عِبَادَ الله يَأتوا مَدَدَا

فِيهِم رَسولُ الله قَد تَجَرَّدا ∴ إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحرِ يَجرِي مُزبِدَا ∴ إِنَّ قُرَيْشًا أَخلَفُوكَ الْمُوعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ∴ وَزَعَمُوا أَن لَّسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

فَهُم أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا ∴ قَد جَعَلُوا لِي بِكَدَاءَ مَرْصَدَا

هُم بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ∴ فَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فقال رسولُ اللهِ نُصِرتَ يا عَمرو بنَ سالمٍ[١].

٣- **المسجد في العصر النبوي كان معسكرا للتدريب**، وثكنة عسكرية للجيش، ومقرا للقيادة، والمشورة الحربية، تنطلق منه كتائب التوحيد والإيمان وتعقد فيه الألوية، وتخرج منه السرايا لينتشر الإسلام في كل مكان، حيث كانت تعقد فيه الألوية للمجاهدين الأعلام من الصحابة، فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار.

كما أنه كان مقرا للقائد في تشاوره مع جنوده فيما يتعلق بملاقاة المشركين قبل غزوة أحد، يقاتلوهم داخل المدينة أو خارجها، فوضعت الخطة لملاقاة المشركين في المسجد.

٤- حفر الخندق كان ثمرة للشورى بين القائد والجنود في المسجد، فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة، ووافق النبي ﷺ على ذلك.

٥- تجهيز النبي ﷺ لغزوة تبوك انطلق من المسجد، وتحريض للصحابة في الإنفاق والتضحية.

٦- تنفيذ بعث أسامة، الذي أرسله الصديق ﷺ كان من المسجد، حيث خرج الصديق بعد الصلاة مع الجيش ليودعهم، ويغبر قدمه في سبيل الله ﷻ.

---

(١) الحديث أورده الإمام ابن حجر في فتح الباري ٥٩٢/٧ بإسناد حسن موصول، عن المسور بن مخرمة ﷺ.

٧- **المسجد كان ساحة للتدريب على وسائل القتال**، بالحراب وغيرها، حيث لعب الأحباش بها في المسجد، وسمح النبي ﷺ لهم بذلك لأنها فرصة للترويح عن النفس باللهو المباح، كما أنها وسيلة للتدريب على الفروسية والقتال.

فعن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة ﷺ قالت: (وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ يَقُومُ علَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بحِرَابِهِمْ، في مَسْجِدِ رَسولِ الله ﷺ يَسْتُرُنِي برِدَائِهِ، لِكَيْ أَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِن أَجْلِي، حتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتي أَنْصَرِفُ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، حَرِيصَةً علَى اللَّهْوِ)(١).

وورد في الحديث قال ﷺ: **"إنَّ اللهَ ﷻ يُدخِلُ بالسَّهمِ الواحدِ ثلاثةَ نفَرٍ الجنَّةَ، صانعَه يحتسبُ في صنعتِه الخيرَ، والرامي بـه، ومُنبلَـه، وارمُـوا واركبُـوا، وأن ترمُـوا أحبُّ إليَّ من أن تركبُوا، ليس من اللهوِ إلا ثلاثٌ، تأديبُ الرجلِ فرسَـه، وملاعبتُـه أهلَه، ورميُه بقَوسِه ونبلِه، ومن ترك الرميَ بعد ما علمَه رغبةً عنه فإنها نعمـةٌ تركَهـا أو قال كفَرها"** (٢).

٨- **المسجد يعمل على التربية الجهادية للمسلمين**، من خلال إلقاء الخطب والدروس والمواعظ التي تذكر الناس بفضل الجهاد والرباط في سبيل الله، والتضحية بالنفس والمال، والثبات عند ملاقاة العدو، وكانوا يقرأون في الصلوات الجهرية بالتوبة والأنفال، لأنها سورة تبث روح التضحية والصبر والثبات، عند

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٩٢) عن عائشة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٥١٣) حديث ضعيف، عن عقبة بن عامر ﷺ.

ملاقاة الأعداء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

٩- **المسجد يعمل على تعليم المجاهدين صلاة الخوف**، حيث تشرح أحكام هذه الصلاة في المسجد، وهي آيات لها صلة قوية بالجهاد، بل نزلت الآيات وقت المعركة، وطبقها الصحابة مباشرة، وكانت سببا في المحافظة على الجيش الإسلامي من الهجوم المفاجئ وقت صلاة الجيش كله.

١٠-**المسجد كان نقطة الانطلاقة للفاتحين في الفتوحات الإسلامية لنشر الإسلام الرسالة العالمية**، وبعد النصر مباشرة، كانوا يقومون ببناء المسجد الجديد، في البلاد المفتوحة، لإرساء قواعد الإسلام بين المسلمين الجدد، وتعليمهم شعائر الإسلام.

❁❁❁

(١) سورة التوبة الآية (١١١).

(٢) سورة الصف الآيات (١٠-١٣).

٧- رسالة المسجد في الناحية السياسية.

المسجد له دور كبير وبارز في الجانب السياسي، وحل كثير من المشكلات العامة التي تواجه الناس، ويمكن إيضاح هذا الدور من خلال هذه النقاط:

١- **كان النبي ﷺ يستقبل الوفود التي جاءت لتتعرف على الإسلام**، أو تعلن دخولها في الإسلام، في المسجد، وكان مقرا لإدارة شئون الدولة. ومنه يرسل إلى الملوك والأمراء في شتى البلاد، حاملين معهم الدعوة إلى الإسلام، والدخول فيه، فأرسل إلى كسرى، وقيصر والمقوقس وغيرهم رسائله من المسجد.

٢- **إذا وقعت مشكلة أو خلاف سياسي**، كان المنبر هو أفضل وسيلة لعلاج المشكلة. مثل الخلاف الذي وقع بين الأوس والخزرج، من وراء شاس بن قيس.

وفي السيرة النبوية: (مرَّ شَاسُ بنُ قيسٍ وكانَ شيخًا قد عسَا في الجاهليةِ عظيمَ الكفرِ شديدَ الطعنِ علَى المُسلِمينَ شديدَ الحسدِ لهم علَى نَفَرٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من الأوسِ والخزرجِ في مجلسٍ قد جمَعَهُمْ يتَحدَّثُونَ فيه فغَاظَهُ ما رأى من أُلْفَتِهِم وجماعتِهِم وصلاحِ ذاتِ بينِهم على الإسلامِ بعد الذي كان بينَهم من العداوةِ في الجاهليةِ.

فقال قد اجتَمَعَ ملأُ بنِي قِيلَةَ بهذِه البلادِ واللهِ ما لنا معهُم إذا اجتمع ملَؤُهم بها من قرارٍ فأَمَرَ فتىً شابًّا معه من يهودٍ فقال اعمَدْ إليهم فاجلِسْ معَهم ثمَّ ذكِّرَهُم يومَ

بُعاثٍ وما كان قَبْلَه وأنشدَهم بعضَ ما كانوا يتقَاوَلُونَ فيه من الأشعارِ وكانَ يومَ بعاثٍ يومًا اقتَتَلَتْ فيه الأوسُ والخزرجُ وكان الظَفَرُ فيه للأوْسِ على الخزرَجِ.

ففَعَلَ فتكَلَّمَ القومُ عند ذلك وتنازَعُوا وتفَاخَرُوا حتَّى تَواثَبَ رجلانِ من الحَيَّيْنِ على الركبِ أوسُ بنُ قَيْظِيٍّ أحدُ بنِي حارِثَةَ مِنَ الأوسِ وجُبَارُ بنُ صخرٍ أحدُ بنِي سلمةَ من الخزرجِ فتَقَاوَلا ثم قالَ أحدُهُمَا لصاحبِهِ إنْ شِئْتُمْ واللهِ رددنَاهَا الآنَ جَدْعَةً وغَضِبَ الفَرِيقَانِ جميعًا وقالُوا قد فعلْنَا السلاحَ السلاحَ موعِدُكُم الظاهرةَ والظاهرةُ الحَرَّةُ فخرجوا إليها وانضمَّتْ الأوسُ بعضُها إلى بعضٍ والخزرجُ بعضُها إلى بعضٍ على دَعْوَاهُم التي كانوا عليها في الجاهليةِ.

فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فخرجَ إليهِم فيمَنْ معه من المُهاجِرينَ من أصحابِهِ حتَّى جاءَهم فقالَ يا معشرَ المُسلِمينَ اللهَ اللهَ أبِدَعْوَى الجاهليةِ وأنا بينَ أظهُرِكُم بعدَ إذْ هدَاكُمُ اللهُ إلى الإسلامِ وأكرمَكُمْ بِهِ وقطَعَ بِهِ عنكُم أمرَ الجاهليةِ واستنقذَكُم به من الكفرِ وألَّفَ به بينكم ترجِعونَ إلى ما كنتم عليه كفارًا فعرَفَ القومُ أنها نَزَغةٌ من الشيطانِ وكيدٌ من عدوِّهِم لهم.

فألْقَوُا السلاحَ مِن أيديهِم وبَكَوْا وعانَقَ الرجالُ بعضُهم بعضًا ثم انصرَفُوا معَ رسولِ الله ﷺ سامِعِينَ مطيعينَ قد أطْفَأَ اللهُ عنهم كيدَ عدوِّ الله شاسٍ.

وأنزلَ اللهُ في شأنِ شاسِ بنِ قيسٍ وما صَنَعَ :{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ واللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} إلى قوله: {وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

وأنزَلَ فِي أوسِ بنِ قَيظِيٍّ وجُبارِ بنِ صخرٍ ومَن كانَ معهمَا من قومِهِمَا الذين صنَعُوا ما صنعوا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ} إلى قوله {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١).

- ومثل خلاف الصحابة من الأنصار بعد غزوة حنين، حينما وزعت الغنائم على المهاجرين والمؤلفة قلوبهم دون الأنصار، فصعد النبي ﷺ المنبر، وقال خطبته الشهيرة.

ففي الحديث: "لما أعطَى رسولُ اللهِ ﷺ ما أعطي من تلك العطايا في قريشٍ وقبائلِ العربِ ولم يكنْ في الأنصارِ منها شيءٌ وجد هذا الحيُّ من الأنصارِ في أنفسِهم حتى كثُرَت فيهم القالةُ حتى قال قائلُهم لقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ قومَه فدخل عليه سعدُ بنُ عبادةَ فقال يا رسولَ اللهِ إن هذا الحيَّ من الأنصارِ وجدوا عليك في أنفسِهم لما صنعتَ في هذا الفيءِ الذي أصبتَ قسمتَ في قومِك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائلِ العربِ ولم يكنْ في هذا الحيِّ من الأنصارِ شيءٌ.

قال فأينَ أنتَ من ذلك يا سعدُ قال يا رسولَ اللهِ ما أنا إلا امرؤٌ من قومي وما أنا من ذلك قال فاجمعْ لي قومَك في هذه الحظيرةِ قال فجاء رجلٌ من المهاجرين فتركهم وجاء آخرونَ فرَدَّهم فلما اجتمعوا أتاه سعدٌ فقال قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصارِ قال فأتاهم رسولُ اللهِ ﷺ فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بالذي هو له أهلٌ ثم قال:

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥٤٨/١ عن زيد بن أسلم رضي الله عنه.

يا معشرَ الأنصارِ مقالةٌ بلغتني عنكم، ووجدةٌ وجدتموها في أنفسِكم، ألم تكونوا ضُلَّالًا فهداكمُ اللهُ بي، وعالةً فأغناكم اللهُ، وأعداءً فألَّف بينَ قلوبِكم، قالوا بل اللهُ ورسولُه أَمَنُّ وأفضلُ، قال ألا تجيبوني يا معشرَ الأنصارِ، قالوا وبماذا نجيبُك يا رسولَ الله، ولله ولرسولِه المنُّ والفضلُ.

قال أما واللهِ لو شئتم لقلتم فلصدَقتم ولصدَقتم، أتيتنا مُكذَّبًا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فواسيناك، أوجَدْتُم في أنفسِكم يا معشرَ الأنصارِ في لعاعةٍ من الدنيا تألفتُ قومًا ليُسلِموا، ووكَلتُكم إلى إسلامِكم، ألا ترضونَ يا معشرَ الأنصارِ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ وترجعون برسولِ اللهِ ﷺ في رحالِكم.

فو الذي نفسُ محمدٍ بيدِه، إنه لولا الهجرةُ لكنتُ امرأ من الأنصارِ، ولو سلك الناسُ شعبًا لسلكتُ شعبَ الأنصارِ، اللهمَّ ارحمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ، قال فبكَى القومُ حتى أخضَلوا لحاهم، وقالوا رضينا برسولِ اللهِ ﷺ قسمًا وحظًّا ثم انصرف رسولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقوا" (١).

فالنبي ﷺ القائد الرسول استطاع أن يقضي على الخلاف، والقيل والقال، بخطبته، وبتصرفه الإيماني العالي، حين رد الصحابة إلى الإيمان، وفضل الله عليهم ونعمه، في أن أرسل الرسول إليهم فوحدهم، وكان سبب هدايتهم وإنقاذهم من الخلاف والتشابك والحرب الضروس بين الفريقين من المهاجرين والأنصار.

(١) الحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢/١٠ رجاله رجال الصحيح، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

٣- المسجد هو الميدان الذي كانت تتم فيه مبايعة الخليفة للحكم، ثم يعلن ذلك أمام جمهور الناس على منبر المسجد في يوم الجمعة.

وخطبة أبي بكر الصديق ﷺ بعد اجتماع السقيفة ومبايعة المهاجرين والأنصار له؛ خليفة لرسول الله ﷺ حيث قام فصعد المنبر، وقال خطبته التاريخية المشهورة: (قام أبو بَكْرٍ الغدَ حينَ بُويع فخطَب النَّاسَ فقال يا أيُّها النَّاسُ إنِّي قد أقَلْتُكم رأيَكم إنِّي لَسْتُ بخيرِكم فبايِعوا خيرَكم، فقاموا إليه فقالوا يا خليفةَ رسولِ اللهِ أنتَ واللهِ خيرُنا فقال:

يا أيُّها النَّاسُ إنَّ النَّاسَ دخَلوا في الإسلامِ طَوْعًا وكَرْهًا، فهم عُوَّاذُ اللهِ وجِيرانُ اللهِ فإنِ استطَعْتُم ألَّا يطلُبَكم اللهُ بشيءٍ مِن ذمَّتِه فافعَلوا، إنَّ لي شيطانًا يحضُرُني فإذا رأَيْتُموني قد غضِبْتُ فاجتَنِبوني، لا أُمثِّلْ بأشعارِكم وأبشارِكم، يا أيُّها النَّاسُ تفقَّدوا ضرائبَ غِلمانِكم، إنَّه لا ينبغي لِلَحْمٍ نبَت مِن سُحتٍ أنْ يدخُلَ الجنَّةَ، ألَا وراعُوني بأبصارِكم، فإنِ استقَمْتُ فاتَّبِعوني، وإنْ زِغْتُ فقوِّموني، وإنْ أطَعْتُ اللهَ فأطِيعوني، وإنْ عصَيْتُ فاعصُوني) (١).

❁❁❁

(١) الحديث أورده الإمام الطبراني في الأوسط ٢٦٧/٨. لم يرو هذا الحديث عن أبي أيوب الأفريقي إلا عبد الرحيم بن سليمان تفرد به عبد الله، والراوي أبو بكر الصديق ﷺ.

(١٣) من أسباب ضعف رسالة المسجد.

لقد دخلت مع المسجد وسائل كثيرة تزاحمه في أداء رسالته بصورة مضادة، مثل بعض وسائل الإعلام والتواصل الحديثة، وهي تهدف في صورة غير مباشرة إلى إبعاد الناس عن المسجد، وإضعاف دوره في المجتمع الإسلامي، فهل يمكن توظيف هذه الوسائل فيما يساعد رسالة المسجد لا فيما يضاده؟.

فالمسجد يواجه تحديات كثيرة من هذه الوسائل، وكيفية استخدامها في أغلب الأحايين، خاصة إن صوت الدين فيها لا يذكر إلا قليلا، وعلى استحياء.

والمساجد لم تبن لتكون مزارات للسياح في فن العمارة، والطراز الهندسي، فهي ليست كالمعابد والكنائس، والبيع والصوامع، بل هي تختلف عن غيرها، التي يغلب مظهرها على جوهرها، وشكلها عن مضمونها، إنما بنيت لرسالة كبرى، وأهداف عظمى.

بنيت المساجد لتكون منبرا لنشر التوحيد والإسلام، وإقامة الفرائض والأركان، وبناء الإنسان المسلم جسدا وروحا، ليعمر الكون، ويحمي العرض والأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا.

والمسجد في بعض بلاد العالم الإسلامي، انحصر دوره في أضيق صورة من واجباته التي يقوم بها، فانحصر دوره في الصلوات الخمس، وخطبة الجمعة فقط لا غير، لا يتعداها لأي نشاط آخر، وهذا يحتاج إلى مراجعة لدور المسجد في الإسلام.

ومن أهم الوسائل التي عملت على إضعاف دور المسجد ما يأتي:

١-**الحملة العلمانية الموجهة على الدين**، ويتمثل ذلك في السخرية ممن يعلم أحكام الدين، ومناقشتها بطريقة مادية بحتة، بعيدا عن الوحي والرسالة، والمطالبة بفصل الدين عن واقع الحياة، وجعل الإسلام مثل العلمانية النصرانية في أوربا، فيكون الدين بالمسجد فقط، وحبيس الفرد والضمير لا يتعداه إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يسمح له بأن يتدخل في شئون الحياة المختلفة.

٢-**الحملة المستمرة على علماء الدين وأئمة المساجد**، ويتمثل ذلك من خلال إبراز صورهم في الإعلام المشاهد في صورة سلبية مبتذله، تجعل منه مادة للضحك والتندر، فيظهر بملابس بالية غير مهندمة، ويأكل بصورة فيها لون من الجشع وسوء الأدب، ويتمعر في حديثه ونطقه باللغة العربية في صورة مقززة، وإذا اهتزت صورة الإمام وعالم الدين في نفوس أتباعه، فكيف يكتب لقوله القبول، ولرسالته النجاح.

٣-**المخططات العالمية لتحويل الجامعات الإسلامية إلى جامعات تقليدية**، بمعنى بدلا من أن تخرج تلك الجامعات أئمة وخطباء لهم رسالة وهدف من الحياة، تتمثل في نشر الإسلام والتوحيد، والدعوة اليه في الداخل والخارج، وبذل الغالي والنفيس من أجل التمكين لهذا الدين، تحاول هذه المخططات تخريج سيل من الموظفين الذين يبحثون عن الوظيفة الجيدة، والراتب العالي والعيش الرغيد، والعمل المريح الذي يرضى به رؤساءه فقط، ويصل به إلى أعلى درجات السلم الوظيفي، دون أن يحمل هم الإسلام والمسلمين في أي مكان في العالم، فأصبح يعيش لنفسه ويعمل كل شيء من أجل نفسه فقط.

٤-**انتشار مقولة لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين**، تنسب هذه المقولة إلى مصطفى كمال أتاتورك، الذي عمل بقوة في إسقاط الخلافة الإسلامية، ثم تبناها بعض الساسة، وعمل على نشرها في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم ينحصر دور المسجد وإمامه في العبادات فقط، ولا يسمح له بالذهاب إلى أبعد من ذلك، وإذا تدخل أحد أئمة المساجد في شيء من أمور الحياة العامة، اعتبر الساسة أن ذلك تدخلا فيما لا يعنيه ولا يخصه، ويعاقب على ذلك بالإيقاف عن العمل، وقد يكون بالفصل أو الحبس والسجن لفترة طويلة، ويكون عبرة لغيره من الأئمة، وهذا يجعل الإمام مقيدا في رسالته، لا يشعر بأنه يؤدي عمله على الوجه المطلوب، فيضعف أثر الإمام والمسجد في الحي والقرية والمدينة.

٥-**ضعف الحرية الفكرية في بعض المجتمعات المسلمة**، فأهم عامل من عوامل ازدهار رسالة المسجد وإمامه، إنما يكمن في حرية التعبير عن الإمام في ما يقول ويعمل من أنشطة، فالحرية تولد العمل والنشاط والتطور والإبداع، والنهوض بالمجتمع والناس نحو الأفضل والأحسن، وعندما تغيب الحرية الفكرية، وينتشر الاستبداد، ويشعر الإمام أن كلمته مرصودة، ومسجلة عليه، بل أصبحت الخطبة مكتوبة و يقرؤها على الجمهور، لا يخرج عنها قيد أنملة، ولا يستطيع أن يضيف إليها أو يحذف منها، فبمرور الوقت يشعر الخطيب بالكسل والرقود، وينضب العقل، ويجف الفكر، ويتلاشى التطور والإبداع، ويصبح الأئمة كلهم نسخة موحدة من الخطبة نفسها، لا تجد فرقا بين مسجد وآخر، فتتراجع رسالة المسجد، ويتوارى الخطيب عن ساحة التغير والإصلاح.

إن ضعف دور المسجد في المجتمع ترتب عليه ضعف الأمة الإسلامية، فهو مصنع الرجال وإكسير الحياة، وعندما يقوم المسجد بدوره المنشود، ويرتقي الأئمة والخطباء والدعاة بالوسائل والأساليب التعليمة والدعوية والتربوية، مع ما يناسب حاجات العصر ومتطلباته، يعود المسجد من جديد قلب الحياة الإسلامية النابض، الذي يضخ الدماء في باقي أجزاء الأمة الإسلامية كلها.

وأفضل وسيلة لتقويته هي العودة بدوره إلى ما كان عليه المسجد في عهد الرسالة والسلف الصالح، حيث كان مصدر إشعاع إيماني وروحي، ونور وضياء، لكل مناحي الحياة المختلفة، بما خرجه من علماء وقادة وفاتحين.

فالمسجد أو الجامع هو الذي يجمع المسلمين في العبادات والملمات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم)[1].

فالمساجد في الصدر الأول من الإسلام بدأت عملها كمدارس ومراكز تعليم وتربية، وجامعات، تقوم بتعليم الإسلام للخواص والعوام، ثم أقيم حولها المدارس والجامعات المستقلة التي تساعد المساجد في القيام بدورها، فما أحوجنا إلى هذا الدور من جديد، لتكون المساجد هي المنطلق الأول الذي يخرج قادة الأمة وعلماءها.

❁❁❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٩/٣٥

(١٤) نموذج مقترح لأنشطة المسجد.

المسجد النشيط هو الذي يقوم عليه إمام فعال، صاحب رسالة يسعى لتحقيقها، فرسالته أن يكون سببا لهداية الناس، وتثبيتهم على الإسلام والإيمان، وتفقيههم في أمور دينهم، وحل مشكلاتهم الدينية والاجتماعية، وتقوية روابط الأخوة بينهم، وتفقد أصحاب الظروف الخاصة، مثل المريض، والمعوق، والأرملة، والفقير، وغيرهم، وهذا نموذج مقترح لأنشطة المسجد، يمكن للإمام أن يستفيد منه، ويجعله محورا رئيسيا ينطلق منه في إصلاح بيئته، على قدر الوسع والطاقة.

١-**خواطر شبه يومية**: ينبغي للإمام أن يتواصل مع جمهوره بين الحين والحين، بخاطرة قصيرة بعد صلاة العشاء، من خمس إلى عشر دقائق، تكون تذكرة بأمر من أمور الدين، خاصة في الرقائق وأمور الآخرة، وإصلاح النفس، والقلب، والمجتمع. يقول ابن مسعود ﷺ: "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا" (١).

٢-**مقرأة قرآنية يومية**: يقوم الإمام بعمل مقرأة جماعية بعد صلاة الفجر، لتلاوة القرآن الكريم، وتعليم البعض كيفية القراءة الصحيحة، بمراعاة أحكام التجويد، وفتح الباب الأسئلة حول الآيات التي تكون محل اهتمام، أو تحتاج إلى بيان وتفصيل، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨) عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

وفي الحديث قال ﷺ: **"ما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ الله تَعالى يَتلونَ كِتابَ الله وَيَتَدارسونَه بَينَهم، إلَّا نَزَلتْ عليهمُ السَّكينةُ، وغَشِيَتهمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ المَلائكةُ، وذكَرَهمُ اللهُ فيمَن عندَه"**(١).

٣-**الدروس الدينية الأسبوعية**: حيث لها أهمة كبيرة في تعليم المسلمين أمور دينهم، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمور دينه، وقد قال ﷺ: **"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"** (٢).

فيمكن للإمام أن يقيم درسا في العقيدة، ودرسا في التفسير والحديث، ودرسا في الفقه، ودرسا في السيرة، ودرسا في الأخلاق، ودرسا في التجويد، ودرسا خاصا للسيدات، إلى غير ذلك من الدروس والموضوعات، التي يحتاج إليها رواد مسجده، والتي ترتبط بمواسم العبادة، وطبيعة القرية أو المدينة التي يقع فيها المسجد.

٤-**ندوة علمية شهرية**: يمكن عمل ندوة شهرية يستضيف فيها الإمام زميلا له من مكان آخر، ويطرح موضوع شهري، يتم تقديمه للجمهور، ويفتح بعده باب النقاش والأسئلة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(٣).

٥-**عمل قافلة دعوية**: يخرج فيها الإمام مع بعض الأئمة من المساجد المجاورة، لجولة دعوية داخل الحى، ودعوة الناس لحضور صلاة الجماعة، وأنشطة المسجد.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٩٩) عن أبى هريرةﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣١١٦) عن أبى هريرةﷺ.

(٣) سورة النساء الآية (٨٣).

وفي الحديث قال ﷺ: **"فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم"** (١).

٦-**إحياء سنة التهجد والقيام فرادى**: يفضل بين الحين والحين، أن يذكر الإمام المصلين، بصلاة قيام الليل أو التهجد في المسجد أو البيت، ولا بأس أن يصلي بهم الإمام ركعتين، أو أربع ركعات بعد العشاء، لا تسل عن طولهن وجمالهن وحسنهن، حتى يتعود المصلون على المداومة على الطاعة، والاستمرار عليها.

٧-**إحياء سنة الاعتكاف في رمضان**: يستحب للإمام أن يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، وأن يدعو المصلين للمشاركة فيه، كله أو بعضه، لما له من فائدة عظيمة على الجانب الإيماني والروحي، بالإضافة إلى كونه سنة مستحبة اقتداءً برسول الله **"فكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان"** (٢).

٨-**إفطار جماعي**: هناك مواسم لصيام النوافل، مثل يوم عرفة، عاشوراء، الأيام البيض، الاثنين والخميس، فيستحب اختيار بعض هذه الأيام، وعمل إفطار جماعي، يجمع المصلين وأسرهم، ويشاركوا في إعداده، مجلبة للأجر والثواب، وتأليفا للقلوب، بين أبناء الحي الواحد. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (٣).

٩-**عمارة المسجد بالجلوس فيه بعد صلاة الفجر**: حتى مطلع الشمس، لقراءة القرآن الكريم، والمداومة على ذكر الله ﷻ ويختم ذلك بصلاة نافلة الضحى، فكل

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٧٠١) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١١٧١) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) سورة المائدة الآية (٢).

ذلك يدخل تحت عمارة المسجد، يفعل ذلك يوما في الأسبوع على الأقل، ويدعو الآخرين لذلك، وفي الحديث قول الرسول ﷺ: **"من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله ﷻ حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت كأجر حجة وعمرة، تامة، تامة، تامة"** (١).

١٠-**عمل مجلة حائط أسبوعية أو شهرية**: هي وسيلة دعوية لتذكير الناس بأهم القضايا المعاصرة، ومواسم العبادة والطاعة، وهي تستوعب طاقات الشباب، من رواد المسجد، حيث تكون محل اهتمام الجميع، في الكتابة فيها وقراءتها.

١١-**لوحة عامة توجيهية للمسجد**: يمكن كتابة آية أو حديث كل أسبوع على لوحة المسجد، يقرأها كل من يدخل لأداء الصلاة، فتكون وسيلة للتذكرة والتنبيه برسالة عاجلة تحتاج إلى التذكير بها.

١٢-**مسابقة دينية وثقافية**: يمكن للإمام عمل مسابقة ثقافية مطبوعة، توزع على رواد المسجد، تكون موضع اهتمام الأسرة، من الأب والأم والأولاد، وتعتني المسابقة بالتركيز على القرآن والسنة والثقافة الإسلامية، والمشكلات المعاصرة، وقضايا المسلمين المحلية والعالمية.

١٣-**مكتبة ملحقة بالمسجد للاستعارة**: تكون عامرة بأمهات الكتب، في جميع العلوم الشرعية، وشرائط الفيديو والكاسيت، وتفتح للمصلين في وقت محدد كل يوم، ويكون لها نظام معين في الإعارة، وهذه تجعل المصلين ينفتحون على الثقافة

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٥٨٦) وقال حسن غريب، عن أنس بن مالك ﷺ.

الإسلامية بصورة واسعة، حيث لا يشبع المسلم من طلب العلم، إذا وجد سبيلا إليه، وتكون مزودة بكتب من القصص القرآني، والسيرة النبوية للأطفال.

١٤- **عمل صندوق للفتاوى**: يفضل عمل صندوق خاص لأسئلة الناس الدينية، وتكون موضع اهتمام الإمام في دروسه الأسبوعية، وكذلك يجاب على بعضها في مجلة الحائط، وهذا العمل يجعل هناك تجاوب بين إمام المسجد والمصلين في متابعة مشكلاتهم، والمساهمة في تقديم الحلول الشرعية لها.

١٥-**تحفيظ القرآن للصغار والكبار**: الكتاب هو أهم وسيلة قوية وفعالة في تخريج علماء المستقبل، حيث التركيز على حفظ القرآن الكريم في الصغر يولد التفوق والنبوغ في الأطفال، وهذا جزء من رسالة المسجد، يشرف عليه الإمام، ويوفر مُعلماً متخصصا للقيام بهذا الواجب. وفي الحديث قال ﷺ: **"خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه"**(١).

١٦-**الإعداد لرحلة الحج والعمرة السنوية**: إذا استطاع الإمام تجميع الراغبين لأداء فريضة الحج أو العمرة، في رحلة واحدة، ويكون بصحبتهم، لتعليمهم المناسك في صورة عملية مباشرة، فيكون هذا من أهم الأنشطة السنوية، حيث رسالة الإمام لا تنقطع مع جمهوره في كل مكان، داخل المسجد وخارجه.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفان ﷺ.

وفي الحديث قال ﷺ:" **تَابِعُوا بين الحجِّ والعمرةِ، فإنَّهما ينفيانِ الفقرَ والذنوبَ، كما يَنفي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ والذهبِ والفضةِ، وليس للحجةِ المبرورةِ ثوابٌ إلا الجنةُ**"(١).

١٧-**إعداد صناديق للتبرعات**: يمكن أن يوضع عدة صناديق داخل المسجد، لجمع تبرعات الناس، أو زكاتهم، في مساعدة الفقراء، والمحتاجين، وأصحاب النوازل، والمرضي، والأيتام، وعمارة المسجد، وصيانته، ويراعى تنوع هذه الصناديق بحيث يكون أحدها للزكاة، وآخر للصدقة، وآخر للإطعام والكفارات، وآخر خاص بالمسجد، وتصرف هذه الأموال في مصارفها الشرعية، كما هو معلوم من آية سورة التوبة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(٢).

١٨-**عمل جدول للمحاسبة**: يمكن عمل جدول للمحاسبة الشهرية، ويوضع عدة نسخ في مجلة الحائط، يقوم كل واحد من رواد المسجد بمحاسبة نفسه من خلاله، فيساهم في التذكير والتقويم والإصلاح، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٨١٠) حسن صحيح غريب، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) سورة التوبة الآية (٦٠).

١٩-**عمل لجنة اجتماعية**: تقوم هذه اللجنة تحت إشراف الإمام بجمع تبرعات المسلمين من الملابس الجديدة، والمستعملة، والأدوية الصالحة، والأدوات المكتبية والمدرسية، وأكفان الموتى، وتوزيعها على المحتاجين من الفقراء، وفي الحديث قال ﷺ: **"والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"أَحَبُّ الناسِ إلى الله أَنْفعُهُمْ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله ﷻ سُرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تَكشِفُ عنهُ كُربةً، أو تَقضِيَ عنهُ دَيْنًا، أو تَطرُدَ عنهُ جُوعًا، ولَأَنْ أَمْشِيَ مع أَخِي المسلمِ في حاجةٍ أَحَبُّ إليَّ من أنْ أعتكِفَ في المسجدِ شهْرًا،... ومَنْ مَشَى مع أخيهِ المسلمِ في حاجَتِه حتى يُثْبِتَها لهُ، أَثْبتَ اللهُ ﷻ قدَمه يومَ تَزِلُّ الأَقْدامُ،"** (٢).

٢٠-**عمل موقع للمسجد والإمام على النت**: من بين وسائل الدعاية الحديثة، في ميدان الدعوة الإسلامية لأنشطة المسجد، عمل موقع خاص بالمسجد وأنشطته، ودروس الإمام ومحاضراته وخطبه، ومواقيت الصلاة، ومواعيد الأنشطة كلها، بحيث يستطيع أن يتعرف عليها كل إنسان، أو يشارك في الحضور، أو المساهمة فيها، وهذا يتيح لكل شخص يسكن في مكان جديد، أن يتعرف على مكان المسجد وأنشطته، وهو في بيته من خلال الشبكة العنكبوتية التي أصبحت ضرورية لكل الأعمال.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٩٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أورده الألباني في صحيح الجامع (١٧٦) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن اهتدى بهديهم، وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فهذه أبرز الأمور الشرعية التي تتعلق بأطهر الأماكن في الأرض، بالمسجد ورسالته في الإسلام، والتي حرصت من ورائها تذكير الأمة المسلمة للتمسك بها، والعمل بما فيها؛ ليتحقق لنا مثل ما تحقق للسلف الصالح، من عز وتمكين من الله رب العالمين.

وحرصت من خلالها أيضا أن أبين للإخوة الكرام من الأئمة والخطباء والوعاظ والدعاة، أن يحرص كل واحد منهم على أداء رسالته، وإحياء دور المسجد في المجتمع الذي يعيش فيه، والتمسك بالسنة النبوية المطهرة، وترك البدعة ومحاربتها، وأن يجعل من مسجده مثابة للعبادة، وقضاءً لمصالح الناس، وحلا لمشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

فلا يزال المسجد حتى الآن هو أقوى ميدان من ميادين الدعوة الإسلامية في التأثير والإصلاح والتغير، بالرغم مما يعترضه من تحديات، وما يقف في طريقه من عثرات، وذلك إذا أحسن المسلمون توظيفه واستخدامه كما كان في عصر النبي ﷺ والسلف -رضوان الله عليهم أجمعين-.

❁❁❁

النتائج والتوصيات.

١ - **المسجد ميدان من ميادين الدعوة**، وهو مبني على الاتباع، فينبغي أن يراعى في بنائه ما ورد في الشرع الحكيم، من إخلاص النية، والضوابط الشرعية في بنائه وتصميمه، وكذلك البعد والحذر من البدع والمخالفات الشرعية التي لحقت به، خاصة التي تعتني بالمظهر من الزينة والألوان والزخرفة، والمبالغة في ذلك على حساب دوره ورسالته.

٢-**ينبغي للمسلم عند ذهابه إلى المسجد**، أن يحرص على مستحبات المسجد، وأن يقوم بها، ويبتعد عن المحرمات، ويفر منها، ويكون على علم بالمباحات، حتى يضع الأمور في نصابها الصحيح، ويزن الأمور بميزان الشرع والدين، لا بميزان الهوى، أو تقديم العقل على الشرع.

٣-**هناك بعض الأحكام الفقهية التي تخص المساجد**، فينبغي أن تدّرس لعوام المسلمين وخواصهم، في الدروس الفقهية المسجدية، حتى يقف الناس على الحكم الشرعي الصحيح فيها، فيعملوا به، ويقوموا بتطبيقه في حياتهم داخل المسجد أو خارجه.

٤ - **رسالة المسجد في إصلاح المجتمع الإسلامي رسالة عظيمة**، فينبغي أن تتعاون الجهود في العمل بها، ما بين المؤسسات الحكومية، والأهلية المختصة، والأئمة والخطباء، وإدارات المساجد، حتى تؤدي المساجد رسالتها على الوجه المنشود، الذي كان عليه الحال في الصدر الأول من الإسلام.

٥- **إقامة دورات مستمرة للأئمة والخطباء**، والوعاظ والدعاة، للتذكير برسالة المسجد في الإسلام، حتى تكون الرؤية واضحة عند الجميع، ويكون الهدف محددا، ويصبح الإمام هو الركيزة الأولى في النهوض بدور المسجد ورسالته في الحياة.

٦- **إقامة مسابقات دورية مستمرة لأئمة المساجد**، في النواحي المختلفة من أنشطة المسجد؛ حتى يجتهد الأئمة في تقديم أفضل ما عندهم للجمهور؛ وتقدم لهم الجوائز والمكافآت، التي تتناسب مع مكانتهم ومنزلتهم من الاحترام والتقدير، وتكون مجالا للتنافس المشروع، في تفعيل دور المسجد ورسالته في المجتمع.

٧- **عمل مؤتمرات للأئمة والخطباء والدعاة بين الحين والحين**، حول رسالة المسجد في الإسلام، لإحياء هذا الدور بين المسلمين، وتذكيرهم بعظم هذا الدور، وثقل المسؤولية، وقد قامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بمؤتمر في نفس الموضوع، في أوائل السبعينات من القرن العشرين الميلادي، وصدر عنه نسخة مطبوعة من بحوث السادة العلماء، الذين شاركوا في المؤتمر من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان مؤتمرا ناجحا وموفقا.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على أداء تلك الواجبات، حتى يتحقق لنا كمال الاقتداء بسيد الأنبياء، ولنحظى بشفاعته ﷺ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1]. **والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

❁❁❁

(١) سورة الشعراء الآيتان (٨٨-٨٩).

المراجـــع.

القرآن الكريم.

كتب السنة.

١- إحياء علوم الدين، للغزالي، ط، المكتبة التجارية، بدون تاريخ.

٢- الاعتصام، للإمام الشاطبي، ط، دار المعرفة بيروت.

٣- إعلام الساجد بأحكام المساجد، للإمام الزركشي، تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغي ط، دولة الإمارات العربية المتحدة القاهرة ١٣٩٧هـ.

٤- الإلماع إلى خطر الابتداع، د، يسرى عبد الخالق خضر، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا، سنة ٢٠٠١م.

٥- البداية والنهاية، لابن كثير، ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٦- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط، الثانية، بدون تاريخ.

٧- التطرف الديني الرأي الآخر، د، صلاح الصاوي، ط، الأفاق الدولية للإعلام. ط الأولى سـ١٩٩٣م

٨- تفسير ابن كثير، لابن كثير، ط، دار المنار، القاهرة.

٩- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ط، المكتبة الأميرية، القاهرة.

١٠- الدين الخالص، للشيخ الإمام محمود خطاب السبكي، ط، الثالثة سنة١٤٠١-١٩٨٠م.

١١- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت لبنان، سنة ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣م.

١٢- صحيح فقه السنة وأدلته، أبو مالك، كمال السيد سالم، ط، المكتبة الوقفية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط، المكتبة العلمية بيروت ط، الأولى ١٤١٠هـ.١٩٨٩م.

١٤- ليس من الإسلام، الشيخ محمد الغزالي ط، مكتبة وهبة السادسة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٥- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م.

١٦- المصباح المنير، للفيومي، ط، المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٩٢٢م.

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، ط، دار الحديث القاهرة.

١٨- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية ط، مجمع اللغة العربية القاهرة سنة ١٩٨٨م.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م. حتى يونيو ٢٠٢١م.

٨. **الوظيفة الحالية**: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر، في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية.

والتخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة بالجمعية الشرعية بالقاهرة والأقاليم.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا وكندا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم، ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الآلي.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية – مدينة أجا – خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة وأساليبها في ضوء القرآن والسنة والواقع.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٣
١- التعريف بعنوان الموضوع: المساجد الاتباع الابتداع.	٨
٢- التحذير من الابتداع فى الدين:	١١
١) تحذير القرآن الكريم من الابتداع في الدين.	١١
٢) تحذير السنة النبوية من الابتداع في الدين.	١٦
٣- أسباب الابتداع في الدين:	٢٠
١) دور الشيطان فى الابتداع فى الدين.	٢٠
٢) دور أعداء الإسلام.	٢٢
٣) الجهل والقول بغير علم.	٢٣
٤) اتباع الهوى.	٢٤
٥) التقليد للمبتدعين.	٢٦
٦) التكسب من وراء البدع.	٢٨
٧) مجاوزة حد الاعتدال والاتباع فى العبادة.	٢٩
٤- الفرق بين البدعة والمعصية:	٣٢
١) تعريف البدعة.	٣٢
٢) شرح التعريف.	٣٢
٣) أوجه الخلاف والاتفاق بين البدعة والمعصية.	٣٦
٤) الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة.	٣٧
٥- مكانة المسجد في الاسلام:	٣٩

١) فضل بناء المساجد وعمارتها.	٣٩
٢) المسجد من خصوصية النبي ﷺ والأمة.	٤١
٣) الوعيد الشديد لمن منع المساجد من القيام بدورها:	٤٢
٤) أفضل المساجد على الإطلاق.	٤٣
٥) أشهر المساجد في الوطن العربي.	٤٧
٦- ضوابط يجب أن تراعى عند بناء المساجد:	**٤٨**
١) إخلاص النية لله ﷻ.	٤٩
٢) أن تكون أرض المسجد غير مغتصبة.	٥٠
٣) التحرى الدقيق في تحديد القبلة.	٥١
٤) التمييز في البناء.	٥٢
٥) المرافق.	٥٤
٧- المخالفات الشرعية التي لحقت بالمساجد:	**٥٥**
١) إغلاق المساجد في غير أوقات صلاة الجماعة الأولى.	٥٥
٢) تزيين المساجد وزركشتها.	٥٦
٣) اتخاذ المحاريب.	٥٩
٤) علو المنابر التي تقطع الصفوف.	٦٠
٨- المستحب في المساجد:	**٦٢**
١) الدعاء عند التوجه للمسجد.	٦٢
٢) الدخول بالقدم اليمنى مع الدعاء المأثور.	٦٢
٣) أن ينوي الاعتكاف بالمسجد كلما دخله.	٦٣
٤) يستحب لمن دخل المسجد وكان متوضئا أن يصلى ركعتين.	٦٣
٥) يستحب كثرة الخطى إلى المساجد، لعمارتها بالمكث فيها.	٦٤

٦) المواظبة على حضور صلاة الجماعة.	٦٦
٧) يستحب حضور مجالس العلم في المسجد.	٧٠
٨) يفضل مباشرة عقود الزواج في المساجد.	٧١
٩- المباح في المساجد:	٧٢
١) النوم في المسجد في غير وقت الصلاة.	٧٣
٢) يباح المكث في المسجد للمحدث حدثا أصغر.	٧٣
٣) يباح الأكل والشرب في المسجد.	٧٤
٤) يباح للمرأة أداؤها الصلاة في المسجد.	٧٥
٥) يباح دخول المسجد لغير المسلم.	٧٦
٦) يباح في المسجد إنشاد الشعر الذي فيه مدح للإسلام.	٧٧
٧) يباح عقد مجالس القضاء في المسجد.	٧٩
٨) - يباح للمريض أن يعالج في المسجد.	٧٩
٩) يباح عقد مجالس الاستشارات العسكرية في المسجد.	٨٠
١٠- المكروه في المساجد:	٨٢
١) رفع الصوت في المسجد لغير أمر شرعي.	٨٥
٢) نِشْدانُ الضالة.	٨٧
٣) البيع والشراء في المسجد.	٨٧
٤) إخراج الريح في المسجد اختيارا.	٨٨
٥) البزاق في المسجد.	٨٨
٦) أن يتخذ الرجل مكانا معينا يصلي فيه.	٩١
٧) يكره الخروج من المسجد أثناء الآذان.	٩٢
٨) يكره حمل الأسلحة مكشوفة داخل المسجد.	٩٣

٩) عبث الصبيان والمجانين داخل المسجد.	٩٤
١٠) الإسراف والمبالغة في المنارات.	٩٥
١١- أحكام لها صلة بالمساجد:	٩٦
١) النذر بالصلاة في المساجد.	٩٦
٢) إقامة الحدود بالمساجد.	٩٧
٣) التلاعن في المسجد.	٩٨
٤) صلاة الجنازة في المسجد.	٩٩
٥) صلاة العيدين في المسجد.	٩٩
٦) المكث في المسجد للجنب والحائض والنفساء.	١٠٠
٧) بناء المساجد على القبور.	١٠١
٨) من المواضع المنهي عن الصلاة فيها، أو محل خلاف:	١٠٧
٩) الاعتكاف بالمسجد.	١٠٨
١٠) حكم صلاة الجماعة للرجال في المسجد.	١١٠
١١) صلاة المرأة في المسجد، وحضورها لمجالس العلم.	١١٦
١٢) **الآذان بين الاتباع والابتداع:**	١٢٠
١) مشروعية الآذان.	١٢٢
٢) تاريخ تشريعه وحكمته.	١٢٣
٣) الصيغ الواردة.	١٢٥
٤) سنن الآذان والإقامة.	١٢٦
المخالفات التي لحقت في الآذان.	١٣٠
١) التلحين والتطريب في الآذان.	١٣٠
٢) تسويد النبي ﷺ في الآذان.	١٢٣

٣) الصلاة على النبي ﷺ بعد الآذان بصوت مرتفع.	١٣٢
٤) الآذان والإقامة لصلاة العيدين.	١٣٣
٥) تعدد الآذان لصلاة الجمعة حاليا.	١٣٤
١٣) الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى المسجد.	١٣٥
١٢- إمام المسجد ورسالته في الإسلام:	١٤٤
١- رسالة المسجد في الناحية الدعوية.	١٤٨
٢- رسالة المسجد في الناحية التعليمية.	١٥٠
٣- رسالة المسجد في الناحية التربوية.	١٦٣
٤- رسالة المسجد في الناحية الاجتماعية.	١٧٠
٥- رسالة المسجد من الناحية الاقتصادية.	١٧٨
٦- رسالة المسجد في الناحية العسكرية.	١٨١
٧- رسالة المسجد في الناحية السياسية.	١٨٧
١٣- من أسباب ضعف رسالة المسجد:	١٩٢
١٤- نموذج مقترح لأنشطة المسجد:	١٩٦
الخاتمة.	٢٠٣
النتائج والتوصيات.	٢٠٤
المراجع.	٢٠٦
السيرة الذاتية.	٢٠٨
المؤلفات والكتب.	٢١٠
الفهرس.	٢١٦-٢٢١

❁❁❁